



# قَوْصٌ فِي التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ مُحَمَّدُ عَبْدُ الْحَكِيمِ الْحِجَابِي



المكتبة المصرية العامة للكتاب

0172864



Bibliotheca Alexandrina

96



المكتبة الثقافية

٣٦٣

# فتوَص

في التاريخ الإسلامي

---

محمد عبده الحجاجي



الإهداء

---

إلى والدتي

تحية اعزائي واجلال



## تمهيد

كانت مصر قبل الفتح العربى ولاية رومانية مقسمة الى قسمين كبيرين ، هما : الوجه البحرى ، أو أسفل الأرض ، والوجه القبلى ، أو الصعيد أو أعلى الأرض وكان كل قسم من هذه الأقسام مقسما الى وحدات ادارية صغيرة يعرف كل منها باسم « نوم » nome الا أن العرب قد أبدلوا باسم « نوم » هذا كلمة كورة وهى التى تؤدى معنى الناحية أو المركز فى مفهومنا العصرى ، وقد بلغ عدد هذه الكور ثمانين كورة فى الوجهين البحرى والقبلى وكانت كل كورة تنقسم بلورها الى عدة قرى ولكل من الكورة والقرية زمام اطيان خاص بها . . . وقد كان يتولى شئون ادارة الكورة نائب أو رئيس وهو ما يشبه مأمور المركز فى عصرنا الحالى وشئون القرية زعيم وهو ما يشبه أيضا العمدة .

وحينما فتح العرب مصر فى سنة ١٨ هـ - ٦٤٠ م لم يحدثوا أى تغير يذكر على هذا التقسيم الإدارى إذ وجدوا أن هذه الدولة كغيرها من الدول التى فتحوها ذات نظام ادارى ثابت مبنى على حضارة أصيلة ومدنية

عريقة لكنهم أحدثوا من الإصلاح ما يتفق مع عقائدهم الدينية ويتمشى مع مصلحة الأمة المحكومة . (١)

وقد ظل هذا التقسيم معمولاً به إلى أن فتح الفاطميون مصر في سنة ٢٩٧ هـ - ٩٠٩ م فأحدثوا نظام الأعمال ومفردة عمل وهو الاقليم أو المديرية أو المحافظة في وقتنا الحاضر وكان كل عمل من هذه الأعمال يشتمل على عدد من الكور - المراكز وذلك لكي يسهل حكمه ويصير متماسك البنیان مندمج الاشراف في الادارة المحلية مع الادارة المركزية فيصبح كأنه وحدة متصلة الأجزاء حتى يمكن ادارتها ادارة سليمة منتجة وقد ظل هذا التقسيم في جوهره قائماً حتى يومنا هذا .

وكان على كل عمل أو اقليم أمير أو وال أو رئيس يتولى شئون الاشراف على عمله أو اقليمه فيسعى إلى استتباب الأمن ويحافظ على أرواح الناس وأموالهم وينفذ ما يصدره له الخليفة أو السلطان من أوامر وتعليمات ويتخذ له مقرراً دائماً في عاصمة عمله أو اقليمه .

وقد بلغ عدد هذه الأعمال في الوجهين البحري

---

(١) الدكتور عطية مصطفى مشرفه . نظم الحكم في مصر في عصر العاطميين ص ١٠٢ ، ١٢٤ المستشرق الفرنسي لافاريت ، دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة الصعيد ترجمة الأستاذ صبيحي ، وسجاد ماهر ، محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية في العصر الاسلامي ص ٣ .



والقبلي ستة وعشرين عملا ينغرد الصعيد منها بتوسع أعمال وهي : « الجيزية ومقر ولايته الجيزة والاطفيحية ومقر ولايته أطفيح التي تتبع حاليا مركز الصف التابع للجيزة ، والبهنسساوية ومقر ولايته مدينة البهنسسا وهي الآن من قرى مركز بنى مزار التابع للمنيا والفيومية ومقر ولايته الفيوم ، والاشمونية ومقر ولايته مدينة الاشمونين وموضعها الآن بالقرب من المنيا والمنفلوطية ومقر ولايته منفلوط ، والسيوطية ومقر ولايته سيوط (١) والأخميمية ومقر ولايته أخميم ، ثم يليه مباشرة القوصية وهي من أكبر الأعمال فى الصعيد ينتهى آخره الى مدينة أسوان ومقر ولايته قوص .

وقد بلغت مدينة قوص منذ عصر الدولة الفاطمية ٢٩٧ هـ - ٩٠٩ م حتى أواخر حكم المماليك ٩٢٣ هـ - ١٥١٧ م أى ما يقرب من ستة قرون ونصف قمة مجدها وشهرتها حتى أن الكثرين من المؤرخين والجغرافيين والرحالة العرب قد أسهبوا فى وصفها وذكرها محاسنها وما كانت تتمتع به من مكانة مرموقة وصيت بعيد بين مختلف مدن الديار المصرية .

ولقد رأينا والأمر كذلك أن نقدم صورة تاريخية لهذه المدينة الخالدة التى لعبت دورا كبيرا فى تاريخ مصر

---

(١) كانت تسمى فى العصر الاسلامى سيوط مجردة من الالف

كما وردت فى أغلب كتب الجغرافيين والرحالة العرب .

الاقتصادي والثقافي خلال العصر الاسلامي اقتفيها فيها  
أثر من سبقونا من المؤرخين والجغرافيين والرحالة العرب  
الذين نخص بالذكر منهم : « عبد الغفار بن نوح الاقصرى  
المتوفى ٧٠٨ هـ - ١٣٠٨ م الذى عاش فى اقليم قوص فى  
عصر المماليك ووضع مؤلفا فى حزمين بعنوان ( التوحيد  
فى سلوك اهل التوحيد ) (١) تحدث فيه عن كثير من  
رجال التصوف واهل العلم والفضل الذين عاشوا  
فى الصعيد بالاضافة الى أنه أعطى صورة دقيقة للمجتمع  
الذى عاش فيه وكذا أبو جعفر الادفوى المتوفى ٧٤٨ هـ -  
١٣٤٧ م فى كتابه « الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء  
الصعيد » الذى يعتبر موسوعة قيمة لدراسة الصعيد  
وأهله فى عصرى الأيوبيين والمماليك ، يضاف الى هذين  
المصدرين الأساسيين فى هذه الدراسة بعض من كتب  
التراجم والطبقات التى ألقت فى عصر المماليك مثل  
« الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة » لابن حجر  
المسقلانى المتوفى ٨٥٢ هـ - ١٤٤٨ م ، « والنجوم  
الزاهرة » لابن تبرى بردى المتوفى ٨٧٤ هـ - ١٤٦٩ م ،  
« والضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع » للسخاوى  
المتوفى ٩٠٢ هـ - ١٤٩٦ م وغيرهم الكثير أيضا ، ولقد  
استفدنا وقتنا طويلا نفتش فى بطون هذه المصادر أو نعبد  
الى كشافات الاعلام والأماكن الملحقه بآخرها علنا نلتقط

(١) مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٦ تصوف .

علما من الاعنسلام ينتسب الى قوص أو واقعة تاريخية لعبت فيها هذه المدينة دورا هاما أو أية معلومة من شأنها أن تلقى ضوءا على تاريخ مدينتنا هذه فنمت بين أيدينا من خلال كل ذلك مادة علمية تستحق الكتابة والتسجيل وقد قسمنا هذه الدراسة الى ستة فصول :-

### الفصل الأول :

التقسيم الإداري لاقليم قوص في العصر الاسلامي ،  
محاسن هذا الاقليم ومميزاته ، القبائل العربية التي كانت تعيش في هذا الاقليم منذ أوائل الفتح العربي حتى أواخر حكم الأيوبيين .

### الفصل الثاني :

قوص - الموقع الجغرافي ، تسميتها بهذا الاسم ، لماذا اختيرت عاصمة للصعيد ، وصفها كما جاء على لسان أبنائها من شعراء وعلماء ومؤرخين ، قوص من خلال كتابات المؤرخين والجغرافيين والرحالة العرب في العصر الاسلامي .

### الفصل الثالث :

بناء المجتمع القوصي ، الطبقات ، طبقة الولاة والحكام ، القضاة والحجاب ، العلماء والفقهاء ، التجار والصناع ،

الحرفيون وعامة الشعب ، النصارى ، الأقليات الأجنبية ،  
المرأة ومدى نشاطها .

### الفصل الرابع :

المنشآت والمباني ، الأسواق والحوانيت ، المواسم  
والاعياد الدينية ، موسم الحج ، الطريق من قوص الى  
الأراضى المقدسة ، الى صحراء عيذاب ركوب البحر ، المراكب  
العيذابية ، وسائل اللهو والتسلية ، الغناء والمغنون .

### الفصل الخامس :

الحركة العلمية ، فى قوص فى العصر الاسلامى  
مدارس قوص وجوامعها ، خزائن الكتب والمكتبات ، العلوم  
التي كانت تدرس بهذه المدارس وأساتذتها ، الأدب  
وفنونه ، الكتابة والتأليف ، حركة النسخ . الحياة  
الروحية الشيعة والمتشيعون فى قوص .

### الفصل السادس :

الأثار الاسلامية فى قوص فى العصر الاسلامى .

### وبعد :

فلسفنا نزع اطلاقا أن هذه الصفحات هي كل  
ما قيل أو كتب عن مدينة قوص هذه ويخيل اليها أن

لهذه المدينة في العصر الاسلامي تاريخا حافلا بالاحداث  
والمواقف الخالدة ما زال يرقد في بطون المراجع المخطوطة  
بصفة خاصة والتي يتعذر الوصول اليها ، وما هذه  
الصفحات في اعتقادنا الا محاولة لاماطة اللثام والقاء  
بعض الضوء على تاريخ قوص في عصرها الذهبي ، نرجو  
الله أن نكون عوناً لجيلنا الصاعد وشبابنا الناهض الى مزيد  
من البحث والتنقيب عن قوص وغيرها من المدن ذات التاريخ  
والحضارة في العصور المختلفة ، وعلى الله قصد السبيل .

**محمد عبد المجيد**



## الفصل الأول

---

- التقسيم الإداري للأقليم قوس في العصر  
الإسلامي

- محاسن هذا الإقليم ومميزاته

- القبائل العربية التي كانت تعيش في هذا  
الإقليم منذ أوائل الفتح العربي حتى أواخر  
حكم الأيوبيين

---





## التقسيم الإدارى لاقليم قوص فى العصر الإسلامى

كان اقليم قوص فى العصر الإسلامى مترامى الاطراف تبلغ مساحته فى الطول - كما يقول الادفوى - مسيرة اثنى عشر يوما' بسير الجبال السير المعتاد ، وأما عرضه فشلاث ساعات وأكثر وأقل بحسبه العامر من الأماكن (١) ويمتد شرقا حتى يصل الى البحر الملح ( الأحمر ) وغربا حتى الواح أى ( الواحات ) ويتجه شمالا حتى مرج بنى هميم المتصل بأراضى جرجا من عمل أخميم وينتهى جنوبا بمدينة أسوان (٢) .

ويضم هذا الاقليم فى حوزته العديد من المدن والقرى التى بلغت فى عهد الدولة الأيوبية كما أحصاها ابن ممتى المتوفى ٦٠٦ هـ ١٢٠٩ م فى كتابه ( قوانين الدواوين ) تسعة وثلاثين موضعاً (٣) .

(١) الادفوى . الطالع السعيد ص ٧

(٢) المصدر السابق ص ٨ - ٩ .

(٣) ابن ممتى . قوانين الدواوين ص ١٠٨ - ١٠٩ .

وفى عصر سلاطين المماليك أدخل على هذا التقسيم كثير من التعديلات فالجقت به مدين ومواضع لم تكن تابعة له فى عصر الأيوبيين . وقد اختلف مؤرخو عصر المماليك فى تعداد مدن هذا الاقليم ومواضعه حيث لوحظ ان الكثير من هؤلاء المؤرخين يذكرون مدنا وقرى ومواضع يقل عن ذكرها البعض الآخر ، فالادفوى يجعل عدد مدن وقرى هذا الاقليم واحدا وخمسين موضعا بما فيها قوص (١) على حين أن ابن دقماق المتوفى ٨٠٩ هـ ١٤٠٦ م فى كتابه ( الانتصار لواسطة عقد الامصار (٢) ) فى حديثه عن هذا الاقليم يورد سبعة واربعين موضعا وفى عهد السلطان قلاوون أحصى بن الجيعان المتوفى ٨٨٥ هـ - ١٤٨٠ م فى كتابه ( التحفة البستية بأسماء البلاد المصرية ) البلاد التابعة لهذا الاقليم فجاءوا اثنين واربعين موضعا بما فيهم ثغر عيذاب (٣) الذى يقع على ساحل بحر القلزم (٤) ( البحر الأحمر ) وقد اعتنى

- 
- (١) الادفوى ، الطالع السعيد ص ٩ - ٢٤ .  
 (٢) ابن دقماق . الانتصار لواسطة عقد الامصار ج ٥ ص ٣٠-٢٨  
 (٣) عيذاب بالفتح ثم السكون وذال معجمة وآخره ياء موحدة  
 بليدة على ضفة بحر القلزم وهى مرسى المراكب التى تقدم من عدن الى الصعيد . قاله ياقوت فى معجم بلداته تحت مادة عيذاب .  
 (٤) القلزم بالضم ثم السكون ثم ذى مضمومة وميم ، والقلزمة هى ابتلاع الشيء يقال قلزمه اذا ابتلعه . وسمى بحر القلزم قلزما لاتهامه من يركبه . قاله ياقوت تحت مادة قلزم .

ابن الجيعان في كتابه التحفة السنية بتحديد مساحه الاراضى المنزرعة وغير المنزرعة وقيمة عيرتها أى خراجها ودخلها كما أشار الى تبعية كل مدينة أو موضع لأمير من أمراء الماليك الذى كان يطلق عليه في ذلك الوقت (المقطع) وذلك طبقا لنظام الاقطاع الذى كان معمولاً به في العصور الوسطى في حديثه عن مدن ومواضع اقليم قوص الذى يعيننا قد اوضح أمام كل موضع من مواضع هذه الامور بصورة تعين الباحث الذى يريد ان يقف على مدى تقدم هذا الاقليم في جانب الحياة الزراعية (١) لكننا لسوف نعتمد في دراستنا هذه على التقسيم الذى أورده أبو جعفر الادفوى في كتابه الطالع السعيد وذلك لأن أبا جعفر الادفوى قد قسم هذا الاقليم تقسيما جغرافيا سليما فقد جعله كورنين شرقية وغربية والنيل فاصل بينهما ثم قسم كل كورة على حدة ، فكان في ذلك أكثر وضوحا من غيره من المؤرخين الذين اعتمدوا في تقسيمهم على ترتيب المدن والمواضع ترتيبا هجائيا نضيف الى ذلك أن أبا جعفر الادفوى بحكم نشأته وتربيته في هذا الاقليم كان ملما بالمأما تماما بكل مدينة أو موضع فيه كما أنه كان دقيقا الى حد كبير في ضبط أسماء هذه المدن والمواضع ضبطا سليما بجانب أنه اعتنى أيضا بكيفية نطقها عند النماة

---

(١) ابن الجيعان : التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية

فمثلا فى حديثه عن مدينة ادفو نراه يورد أن بعضهم يجعلها  
بالتاء أى اتفو (١) وهو نطق لهذه المدينة ما زال شائعا  
على لسان العام والخاص حتى يومنا هذا .

فيقول فى تقسيمه لهذا الاقليم : هو كورتان أى ناحيان  
شرقية وغربية والنيل فاصل بينهما فأول الشرقية من  
بحرى أرض افيو وهو مرج بنى هميم ( أى القبائل العربية  
التي سكنت الصعيد ) والمتصلة أراضيها بأرض جرجا  
من عمل اخميم وآخرها من قبلى أبهر بضم الهمزة وضم  
الهاء وهى قرية ، ويلى هذه القرية قرية تسمى جنوبية أول  
أراضى النوبة ولسلطان مصر على هذه القرية مقدر يؤخذ  
منها .

وتفصيل مدن هذه الكورة وقراها المعتبرة وأولها  
( المرج ) وتليها ( الخيام ) ويليها ( البمير ) المعروفة  
الآن بنجع الأمير من توابع ناحية البلايش بحرى مركز  
البلينا يليها ( القوسة ) المعروفة حاليا بنجع القوسة  
من توابع ناحية البلايش قبلى يليها ( قصر بنى شادى )  
وهو قصر بنى كليب ذكره ابن ممتى فى قوانين الدواوين  
ويليها ( فاو بعش ) تشترك مع قاو - بالقاف - من بلاد  
أخميم ثم فاو ويليها دشنا ويليها بيج وهى المعروفة حاليا  
بنجع البيجة بالطوابية المجاورة لناحية السمطا ، وهى من  
أوسع الأقاليم أرضا ثم يليها ( قنا ) وهى بقاف مكسورة

---

(١) الادفوى : الطالع السعيد ص ٢٤ .

ونون محفقه وقد ذكرها بعضهم ( افنى ) ويلي وسا ( ابنود )  
 بالفتح ويليها ( قطع ) ويلي قطع ( فوص ) وهي مدينه  
 العمل الان • وشرقي فوص ( العباسه ) وشرقي العباسه  
 فريه يقال لها ( مسجد النبي ) وتسمى ( اطسا ) • وفيلي  
 قوص قري لطيفه مضاف اليها ( كدمرش ) ( والناعمه )  
 ( وبوقلته ) وقد اندرست ويستدل على مكانها الآن بمقام  
 سيدى ابو قله الكائن حاليا بأراضى ناحيه الخرانقه مركز  
 قوص ويليها ( شنهور ) بالنسب المعجمه المفتوحه ويليها  
 ( الأقصر ) ويليها ( طود ) وكانت بلدا كبيرا نزل بها بنو  
 شيبان احدى القبائل العربيه الأصيلة وهم المعروفون حاليا  
 على لسان العام والخاص من أبناء الصعيد ( بالشيبانيه )  
 وبعدها أى طود هذه ( منايل ) ومفرده منيل وهي الجزيرة  
 التى يكونها النيل أى انه بعد طود عدة جزر صغيره تمتد  
 حتى تصل الى أراضى اسنا ثم تمتد هذه الجزر حتى تصل  
 أيضا الى أراضى ادفو ثم ( أسوان ) بضم الهمزة وهي ثغر  
 من الثغور المعروفة ويليها منايل أيضا • أما الكورة الغربيه  
 فأولها ( برديس ) بالباء الموحدة المفتوحه تتصل أراضيها  
 بأراضى جرجا من عمل أخميم ثم يليها ( البليتا ) بضم الباء  
 الموحدة وسكون اللام ويليها قرية ( بنى غازى ) وهي من  
 قري سمهود ثم ( سمهود ) بسين مهملة مضمومة وميم  
 ساكنة وهاء مضمومة ثم قرية ( ابن يغمور ) وهي أيضا من  
 قري سمهود ثم ( مخانس ) وهي بميم مفتوحه ثم ( جرشوط )

وأوردها بعض المؤرخين بالفاء أى فرشوط وهو الاسم المعروف به حاليا ثم ( بهجورة ) وهى بباء موحدة مفتوحة ثم ( القرية ) وهى المعروفة حاليا بنجع القرية من توابع ناحية دندرة مركز قنا ثم ( دندرا ) ثم ( دير البلاس ) ثم ( طوخ دمنو ) وهى التى تعرف حاليا بنجع كوم الضبع من توابع ناحيه طوخ مركز فوص ثم ( نقاده ) ثم ( دنفيق ) ثم ( دير قطان ) المعروف حاليا بنجع قرطان ثم ( شيوخ الكبرى ) المعروفة حاليا ( بنجع صوص ) من توابع ناحية البحرى قمولا ثم ( شوص الصغرى ) ثم ( سمنت ) وهى المعروفة حاليا بنجع اسمنت الكبيرة من توابع ناحية الأوسط قمولا ثم ( بشلاو ) وهى المعروفة الآن بنجع بشلاو احدى توابع الأوسط قمولا على الجانب الغربى من النيل ثم ( دراو ) وهى المعروفة حاليا بنجع دراو من توابع ناحية الأوسط قمولا وليست هناك صلة بينها وبين دراو التى تتبع أسوان حاليا وإنما هو تشابه أسماء فقط ثم ( شطفتيه ) بفتح الشين المعجمة وهى المرسى حاليا ثم ( ارمنت ) ثم ( الديمقراط ) وأوردها بعضهم بالدمقرات بالتاء وهى معروفة حاليا بهذه التسمية ثم ( بسوية ) وهى ببائين موحدين وو او ويا آخر الحروف وقد اندثرت هذه الناحية ومكانها اليوم البقعة التى بها مقام الشيخ موسى بجبل موسى بأراضى ناحية كيماط المطاعنة ثم ( طلفيس ) ثم ( أسفون ) وقد وردت أيضا بالصاد ثم ( اسنا ) ثم ( ادفو ) وينطقها العامة حاليا ( افو ) بالتاء

ثم ( بمبان ) بباء موحدة وميم وباء موحدة والـف ونون ثم  
أراضى أسوان المتصلة بالنوبة . وبهذا ينتهى التقسيم الذى  
أورده العلامة أبو جعفر الادفوى لاقليم قوص (١) .

وبعد أن انتهى الادفوى من تقسيمه الادارى هذا  
استطرد يتحدث عن محاسن هذا الاقليم ومميزاته فيقول  
عن مائه انه أحسن المياه وأحلاها وأن نخيله يمتد على  
شاطئ النيل ، وقد بلغت الاراضى التى يغطيها هذا النخيل  
والبساتين بنحو من عشرين ألف فدان . وقد ترتب على كثرة  
هذا النخيل أن غرر محصول التمر فقد جمع محصول التمر  
فى احدى السنوات بأسوان فبلغ ألف أردب كما أن نخلة  
بالقوصة من عمل المرج وأخرى بقامولة حصل من كل منها  
على اثنى عشر أردبا من التمر فى سنة من السنين . ثم  
يقول عن فاكهة هذا الاقليم عموما أنها شديدة الحلاوة  
حسنة المنظر فيروى أيضا عن العنب أن حبة منه وزنت منه  
بأدفو فجاءت زنتها عشرة دراهم وأخرى احدى وعشرين  
درهما كما أن بطيخه يمتاز بكبر حبته التى لا يكاد يستقل  
بحمل الحبة الواحدة الا الرجل الشديد القوة ، وتفوح فى  
مختلف جهات هذا الاقليم رائحة رياحينه العطرة ، وقد  
اشتهر هذا الاقليم أيضا بطيب أرضه حتى أن الفدان يحصل  
منه ثلاثون أردبا من الحبوب كالقمح والشعير والذرة وغيرها

---

(١) الادفوى : الطالع السعيد من ٧ - ٢٧ .

كما اعتاز أيضا بطيب المرعى الذى ترتب عليه طيب لحم  
الحيوان ولذته ، وشتاؤه طيب الإقامة مخصب كثير الألبان  
طيب البقولات (١) .

وقد اكتشف فى هذا الاقليم كثير من المصادن مثل  
الذهب والحديد والفوسفات والبرام التى يشير اليها  
الادفوى بقوله معدن البرام (٢) وهى الطينة الطفلية التى  
تتوفر فى الأقصر وقوص وقنا التى يصنع منها البرام  
والسدور التى تستخدم فى الشئون المنزلية ويشير ابن  
الكندى الى انه قد تم اكتشاف النفط بهذا الاقليم فى سنة  
٨٤٠ هـ (٣) ومن أحجاره الكريمة التى تم الحصول عليها  
فى ذلك الوقت الزمرد والياقوت والزبرجد والرخام .

ولا ينبغي أن يغيب عن ذهننا أن هذا الاقليم بالرغم  
من هذه المحاسن التى أوردها الادفوى كانت له مساوته  
أيضا فسيفه حار قائف كثير الحشرات كالذباب  
والبراغيث (٤) التى تقلق مضاجع أهله بجانب كثرة الهوام  
أيضا كالمقارب والثعابين والسمام الأبرص وكلها هوام  
وحشرات سامة قاتلة ، وذلك ما ذكره كثير من المؤرخين الذين  
سبقوا الادفوى فى حديثهم عن هذا الاقليم .

---

(١) الادفوى : الطالع السعيد ص ٢٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٣ .

(٣) نقلا من على باشا مبارك المخطوط ج ١٢ ص ١٢٨ .

(٤) على باشا مبارك : المخطوط ج ١٤ ص ١٣٨ .



ولعل من أبرز الصفات التي كان يتحلى بها هذا الاقليم  
في ذلك الوقت استتباب الأمن فيه ، فقد كان الانسان يسير  
فيه ليلا ومعه ما شاء فلا يجد من يعترضه ، ويروى الادفوى  
أنه قد ركب مرة وأمسى الليل عليه وهو بمفرده فلم يجد  
من يعترضه فربط دابته في جسر ونام في أمن  
ومدوء (١) .

---

(١) الادفوى : الطالع السعيد ص ٢٩ .

## القبائل العربية التي سكنت هذا الاقليم منذ الفتح العربى حتى اواخر حكم الايوبيين

---

لكى نتحدث عن القبائل العربية التي استقرت فى هذا الاقليم منذ أوائل الفتح العربى ، يجدر بنا أن نقف قليلا أمام حالة مصر قبل الفتح ، فقد كانت مصر قبل الفتح العربى لها ولاية رومانية يسكنها القبط ، والقبط هذه كلمة يونانية قديمة معناها سكان مصر الذين هم من سلالة قدماء المصريين يتكلمون اللغة القبطية المتطورة عن اللغة المصرية القديمة ، وبجانب هؤلاء نرى طائفة من اليهود ثم الرومان وهم حكام مصر الذين أذاقوا المصريين ألوانا من العنت والاضطهاد والمذلة حتى أنهم أصبحوا يتطلعون فى لهفة بالغة الى من يخلصهم من ربقة هذا الظلم والطغيان حتى كان الفتح العربى لمصر ١٨ هـ ٦٤٠ م بقيادة عمرو ابن العاص ووجد المصريون فى هؤلاء العرب المسلمين ضالتهم المنشودة خصوصا وأنهم قد سمعوا عن حسن معاملتهم وتسامحهم مع أهل الشام فأقبلوا عليهم وفتحوا لهم قلوبهم ، وبدأ الدين الاسلامى واللغة العربية يأخذان

طريقهما في سهولة ويسر بين كافة أبناء الديار المصرية  
الا أن هناك من أبناء مصر من بقى على دينه ولم يتعرضوا  
من جانب المسلمين لعنت أو أذى بل عاملهم المسلمون  
معاملة تتسم بطابع التسامح والمحبة وأطلقوا عليهم أهل  
الذمة أو الدمين ، والتزموا بدفع الجزية فكفلوا لهم حرية  
عبادتهم ومعيشتهم (١) •

وهؤلاء المسيحيون كانوا يكثررون في قوص والاقصر  
واسنا ، والدليل على ذلك أن هذه المدن كانت مليئة  
بالكنائس والأديرة والقلايات (٢) التي أقامها المسيحيون  
منذ فجر المسيحية •

وحيثما تم فتح العرب لمصر بدأت القبائل العربية  
تزحف على مختلف مدن الديار المصرية عن طريق صحراء  
سينا وعن طريق واد في جنوب صحراء مصر الشرقية  
يقال له وادى العلاقي ويسميه المؤرخون العرب ( أرض  
المعدن ) لكثرة ما به من المعادن كالتبر والذهب والزمرد  
التي كانت مطعما لعدد كبير من القبائل في الحجاز واليمن

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ١

ص ٢٩٣ - ٣٢١ •

(٢) القلايات : جمع قلايه وهي مجمع أكابر الرهبان وعلماء

النصارى •

فانطلقت هذه القبائل بعائلاتها وذرائعها تبحث عن هذه المعادن وتنقب عنها ثم استقرت بالقرب من أمالكنها .

وفي عصر الدولة الفاطمية بصفة خاصة امتد زحف هذه القبائل عن طريق الحجاز عيذاب ثم الحجاز القصير وذلك لسهولة هذه الطرق وسلامتها ، فاتجهت هذه القبائل في زحفها لتقيم في صعيد مصر لكثرة خيراتها وطيب المعيشة فيه حينما تقطعت بها سبل الإقامة في ديارها التي تركتها . ولقد كان للفاطمين حينما فتحوا مصر أثر كبير في هجرة جموع غفيرة من القبائل العربية والقبائل البربرية المستعربة ، فمن المعروف أن الفاطمين قد اعتمدوا في تأسيس دولتهم في بلاد المغرب على هذه القبائل ، وكان في جيشهم فرق عديدة منهم ، وحينما فتح جوهر الصقلي مصر سنة ٣٥٨ هـ ٩٦٨ كان من الطبيعي أن ينتقل الى مصر حشد من هذه القبائل بانتقال الفاطمين اليها ، ولهذا يعتبر العصر الفاطمي مرحلة من المراحل الهامة في تاريخ الهجرات المغربية الى مصر عن طريق الصحراء الكبرى ولقد تأثرت الجهات القريبة من صعيد مصر بتيار زحف هذه القبائل العربية والمستعربة اليها (١) .

---

(١) المقرئى : البيان والاعراب عما حل بأرض مصر من أعراب .

تدوين وشر عبد المجيد عابدين ص ١٣٢ - ١٣٣ .

وكان من أهم هذه القبائل التي سكنت الصعيد  
 عموما بنو هلال الذين كانوا يقطنون الحجاز وأغلبهم  
 استقر في أسوان ، وبلى وهي قبيلة عظيمة كانت تقطن  
 الشام ثم زحفت الى مصر واستقر أغلبها في الصعيد ، وكان  
 عليهم الاعتماد في نقل التجارة الهندية ، وجهينة وهي من  
 قبائل الحجاز العظيمة ، وقد كانت منازلهم في الينبع  
 ويثرب وقريش وبنى سليم وكانت مساكنهم في نجد  
 وقبيلة البجة وهي إحدى القبائل البربرية المستعربة التي  
 صحبت الفاطميين الى مصر واستقرت في الجزء الجنوبي  
 من الصعيد ، ومن أهم بطونها العباددة والبشارية الذين  
 يعيشون في الوقت الحاضر معيشة البدو الرحل  
 ويستغلون بتربية الماشية والأغنام ويكثرون في الصحراء  
 الشرقية في المناطق الواقعة من أسوان حتى بلاد النوبة  
 والجعافرة الذين ينتسبون الى جعفر الطيار ويكثرون  
 في ادفو ودراو وأسوان . بنو شيبان هم أهل مكارم  
 نزلوا قفط الطود وبنو اللط بقوص والأشراف الجميمة  
 الذين ينتسبون الى الأمير جمال الدين جماز وهو  
 شريف حسيني كان أميرا بالمدينة المنورة ثم زحف الى  
 الديار المصرية في أواخر حكم الأيوبيين واستقر بقنا .  
 والهوارة وهم ينتسبون الى عرب الحجاز ، ومنهم من يقول  
 ان أصلهم بربر من المغرب ، وعرب الحميدات استقروا أيضا  
 بقنا والأشراف الحجاجية الذين ينتسبون الى سيدي  
 يوسف أبي الحجاج الاقصرى الشريف الحسيني العراقي

الأصل ، وقد استقروا فى الأقصر وقوص والكلاحين  
والرواجع وعرب حجازة وأولاد عمر وبنو حامد والانصار  
وغيرهم كثيرون قد استقروا فى أنحاء متفرقة من إقليم  
قوص (١) .

بجانب هذه القبائل العربية المتعددة كانت هناك  
أسر وعائلات مختلفة تمر بأغلب مدن الصعيد فى طريقها  
الى بلاد المشرق أو المغرب فى تجارتها المختلفة ، أو فى  
إدائها لفريضة الحج ، استهوتها مدن الصعيد هذه لطيب  
الإقامة فيها وكثرة خيراتها ووداعة أهلها وحسن معاملتهم  
فاستقر على أثر ذلك بعض هذه الأسر والعائلات فى ربوع  
الصعيد المختلفة واستوطنتها ، فنحن نقرأ فى كتب التاريخ  
والطبقات وبصفة خاصة فى الطالع السعيد للأدقوى عن  
كثير من هذه العائلات والأسر التى انتسبت الى بلاد من  
المشرق أو من المغرب كسبته والمهدية وقرطبة والقبروان  
وفاس وبغداد وسهرورد وسمرقند ونصيبين ومكة  
والمدينة ودمشق وعسقلان وغيرها ، تتردد النسبة  
إليها فى أرض الصعيد حتى أننا نقرأ أو نسمع أيضا عن

---

(١) لايات ( مستشرق فرنسى ) دائرة المعارف الإسلامية بحث  
مادة الصعيد . ترجمة الأستاذ صبحى المقرئى . البيان والإعراب  
فى صفحات متفرقة زامباور معجم الانساب ص ١٠٣ عمر وشما كحالة  
معجم القبائل العربية مصطفى كامل شملوك عروبة مصر من قبائلها .  
محمد عبده الحجاجى : شخصيات صوفية فى صعيد مصر فى العصر  
الإسلامى ( توطئة ) .

يسمى بالقرطبي القنائي أو السبتي القوصي أو القيرواني  
الاستائي أو المسقلاني الادفوي وما الى ذلك . وكل هؤلاء  
في الواقع ينتسبون الى قبائل عربية أو مستعربة استقرت  
في هذه المدن وسواها حتى وفاتها ، وكان نتيجة لكل ذلك  
أن تناكحت هذه القبائل والاسر والعائلات فيما بينها  
وتناسلت وأعقبت خلفا صالحا مازال ممتدا حتى يومنا  
هذا .

وقد لعبت هذه القبائل دورا هاما في القضاء على  
الفتن والدساسات واللؤامرات التي عرضت سياسة الدولة  
الداخلية للتفكك والانهييار وكادت أن تأتي عليها ، فتقول  
مصادر التاريخ المختلفة ان قبيلة ربيعة بن نازار بن عدنان  
الذين اتخلوا من مدينة أسوان في أقصى الجنوب مقرا لهم  
قد تعاونوا معاونة صادقة مع الخليفة الفاطمي الحاكم  
بأمر الله في القبض على الثائر الأموي الاندلسي أبي  
ركوة ، وكان قد لجأ الى الصعيد وهم بالفرار الى بلاد  
النبوة ، فسر الحاكم بأمر الله وكافأ زعيم هذه القبيلة بأن  
أطلق عليه لقب كنز الدولة وهو لقب من الألقاب التي  
كان يمنحها عادة الحكام لهؤلاء الذين تزكو عندهم روح  
الجهاد والتضحية والفداء وقد توارث أبناؤه من بعده هذا  
اللقب فعرفوا ببني الكنز أو الكنوز (١) .

---

(١) القرطبي : البيان والاعراب ص ١٢٤ - ١٢٥ .

بجانب أنه كان لهذه القبائل أيضا بأسها الشديد  
 وانتفاضاتها التي كثيرا ما أقلقت مضاجع مختلف حكام  
 مصر حتى أن هؤلاء الحكام كانوا يخشونهم ويخافونهم .  
 فلقد شهد الصعيد بصفة عامة وإقليم قوص بصفة خاصة  
 ثورة عارمة اشتركت فيها بعض هذه القبائل العربية في  
 سنة ٦٩٨ هـ - ١٢٩٨ م في عهد السلطان الناصر فلأون ،  
 والسبب فيها هو أن هذه القبائل نظرت الى سلاطين  
 المماليك نظرة استخفاف واصغار لانهم ليسوا عربا وأنهم  
 مختصبون للحكم في مصر ، فلبسوا الأسلحة وأخرجوا أهل  
 السجون والمعتقلات وسموا بأسماء الأمراء ، وجعلوا لهم  
 كبيرا سموه سالار والآخر بيبرس فقطعوا الطرق وفرضوا  
 الضرائب على التجار وأرباب المعاشات وانتهى أمر ذلك  
 الى السلطان الناصر قلاوون فاستشاط غضبا وأحضر  
 الأمراء والقضاة والفقهاء واستعانهم في أمر مقاتلتهم فأمنوا  
 بجواز ذلك ووضعت لذلك خطة محكمة اشترك فيها الأمراء  
 وولاة الأقاليم فمنعوا السفر الى الصعيد في البر والبحر  
 وأمروا بوضع السيف في الكبير والصغير والجليل والحقير  
 فطوق هؤلاء الأمراء والولاة ومن ساعدتهم من الجند ببلات  
 الصعيد على هؤلاء المتمردين وأخذوا عليهم المفازات ، وقد  
 عميت أخبار الديار المصرية على أهل الصعيد ووضعوا  
 السيف ، كما أمروا في الكبير والصغير والجليل والحقير  
 وأخذوا الأموال وسبوا الحريم ، وكان إذا أدى أحد من  
 العربان أنه حضري قيل له قل دقيق فاذا قال ( دقبق بالكاف



من لغات العرب) قتل وان قالها بالقاف المعهودة أطلق سراحه ووقع الرعب والخوف فى القلوب وأخذوا من كل جهة فروا اليها وأخرجوا من مخابئهم وقتلوا من العسربان ما وسعهم القتل حتى جافت الأرض بهم واختفى كثير منهم بمفاوز الجبال ، فتعقبهم الأمراء والولاة وأوقدوا عليهم النيران حتى أهلكوا وأسر من فر منهم ، وقد خلت على أثر ذلك بلاد الصعيد من أهلها بحيث يمشى الرجل فلا يرى الا النساء والصبيان ، ثم أفرج السلطان عن المأسورين وأعادهم الى بلادهم لحفظ الأمن (١) .

ولا ينبغي أن يغيب عن ذهننا أن هذه القبائل العربية كانت تجرى فى دماء أبنائها الخصال العربية الحميدة كالجود والكرم والتضحية والشهامة والفداء فقد وردت كثير من المواقف والبطولات التاريخية فى كتب من كتب التاريخ تعبر عن هذه المعانى تعبيرا صادقا أكيدا فيقول المقرئى مثلا ( أن الرجل كان فى أيام الناصر محمد بن قلاوون وما بعدها يمر من القاهرة الى أسوان فلا يحتاج الى نفقة بل يجد فى كل بلد وناحية دور الضيافة فاذا دخل دارا منها أحضر لدابته علفها وجيء له

---

(١) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى حوادث سنة ٦٩٨ .

بما يليق به من الأكل ونومه (١) فلقد كانت دور الضيافة  
التي تبدل على الكرم والجود منتشرة في كل ركن من  
أركان الصعيد يجد فيها المسافر والوافد واللاجئ زاده  
وأمنه وراحته ، وهذه في الواقع طباع وصفات عربية  
أصيلة تجرى في دماء أهل الصعيد ، وما زالت تمتد حتى  
يومنا هذا ) •

---

(١) المقريزي : الخطط ج ٢ ص ٣٧ •

## الفصل الثانى

### قوص

---

- الموقع الجغرافى : تسميتها بهذا الاسم -  
لماذا اختيرت عاصمة الصعيد - وصفها كما  
جاء على لسان ابنائها من شعراء وعلماء  
ومؤرخين .

- قوص من خلال كتابات المؤرخين والجغرافيين  
والرحالة العرب خلال هذه الفترة .

---



الواقع الجغرافي - تسميتها بهذا الاسم - لماذا  
اختيرت عاصمة الصعيد - وصفها كما جاء على لسان  
ابنائها من شعراء وعلماء ومؤرخين \*

---

تقع مدينة قوص على الساحل الشرقي من النيل  
في مسافة قدرها ٦٤٥ كم جنوب القاهرة ، وهي الآن من  
المراكز الهامة في محافظة قنا ، وقد ضبط المؤرخون الذين  
تحدثوا عنها اسمها بضم القاف ثم السكون وصاد مهمل  
والنسبة اليها قوصي (١) وقد اختلف في سبب تسميتها  
بهذه التسمية فمن قائل انها سميت باسم رجل يقال  
له قوص بن قفط بن اخميم بن سيقاف بن اشمن بن  
منف (٢) ومن قائل انها سميت باسم قوص بن سيفاف بن  
اشمن بن مھر (٣) والقول الراجح هو أن قوص كلمة قبطية  
بمعنى الكفن أو الدفن وقد سميت كذلك لأن أهلها كانوا  
مهرة في دفن الموتى وتكفينهم (٤) \*

(١) السمانى : الانتساب ص ٤٧٠

(٢) الادلوى : الطالع السيد ص ١٣ - ١٤٠

(٣) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقبا الامصار ج ٥ ص ٢٩

(٤) أبو صالح الارمنى : ص ١٠٢ - ١٠٣

وقوص هذه مدينة قديمة كان بها منذ عهد البطالمة  
معبد بطلمي مشهور ببناء بها ثاني حكامهم ، وقد ذكر بعض  
المؤرخين كثيرا من القصص حول بناء هذه المدينة  
وتأسيسها ، منها أن شذات بن عديم سادس ملوك الطوفان  
بناها لابن له كان قد سخط عليه وعلى أمه فأقطعها لهما  
وأسكن عندهما قوما من أهل الحكمة وأهل الصناعة (١) .

وقد بدأت قوص الاسلامية فى العمارة سنة ٤٠٠ هـ  
— ١٠٠٩ م بعد أن خربت قفط التى كانت عاصمة للصعيد  
فى عصور الاسلام الاولى (٢) وأخذت فى التقدم والازدهار  
حتى أنها اختيرت عاصمة للصعيد فى عهد الأيوبيين وذلك  
بحكم توسط موقعها الجغرافى بين بلاد المشرق والمغرب  
فهى كما يقول أكثر المؤرخين باب مكة واليمن وسواكن  
والباله (٣) أى أنها بذلك أصبحت مركزا من المراكز  
الهامة التى كانت تربط مصر من الجنوب بهذه المدن  
وسواها فى آسيا وشرقى افريقيا .

وقد ساعدها موقعها الجغرافى هذا أن تصبح طريقا  
للحج يمتاز بالهدوء والأمن والأطمئنان فى الوقت الذى  
فيه كانت تدور معارك الحروب الصليبية فى المنصورة  
والاسكندرية ودمياط وورشيد نضيف الى كل ذلك أنها

---

(١) ابن حلقان : الانصار ج ٥ ص ٢٩ .

(٢) الادفوى : الطالع السعيد ص ١٤ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤ .

قد اتخذت في عصر الايوبيين والماليك قاعدة لنشر مذهب السنة والقضاء على مذهب الشيعة الذي بدأ يتغلغل في أغلب مدن الصعيد . كل هذه العوامل مجتمعة كانت سببا في اختيار قوص عاصمة للصعيد منذ عهد الدولة الفاطمية حتى لواخر حكم الماليك وكانت سببا أيضا في أن يرتبط بها الكثير من أهل العلم والتجار وأرباب المعاشات ، وقد جرى ذكرها وذكر محاسنها على لسان من ارتبطت حياتهم الأولى بها من شعراء وعلماء وأدباء ، فقد ذكرها في كثير من شعره البهاء زهير الشاعر المعروف الذي عاش صدر حياته بها وكان يعمل في خدمة السلطان مجد الدين ابن اللطى أحد أمراء قوص في زمنه ، وكذلك أحمد بن لاشى القوصى وتاج الدين الدشناوى والادفوى الذى قال فيها :

أنزل بقوص فأنما  
 هي منزل اللطن الحكيم  
 واشرب مياها قد أتت  
 من طيب جنات النعيم  
 رقت وراقت فأحسها  
 ياصباح فى الليل البهيم  
 وانشق شذا عرف الريا  
 ض يفوح مع لطف النسيم

وانظر الى جرى الجدا  
 ول في المفارط (١) والكرم  
 حكمت الجنان بما حوت  
 حسا وبالوجه الوسيم  
 ما العيش الا ما مضى  
 لي فم رباها من قديم (٢)

فالادفوى من خلال قصيدته هذه اعطانا صورة عن  
 مدينة قوص في زمنه اى في عصر المالك وهي أنها كانت  
 منزل الفضلاء والحكماء وأن ماها عذب فوات قد أتى على  
 حد تصويره من جنات النعيم وانها عبقث الارحاء بشذى  
 عطر رياحينها وأن جداول الماء تجرى في بساطينها  
 وكرومها فاكسبها كل ذلك جمالا وبهاء وحسنا ، ونظيف الى  
 هذه الصورة أيضا ما جاء على لسان العالم الفقيه مجد  
 الدين القشيري حينما نصح أحد طلبة العلم بالسفر الى  
 قوص للدراسة في مدارسها وقد تذرع هذا الطالب بجوها  
 وحرارتها فقال له أين أنت من طيب فاكبتها وعطرية  
 رياحينها (٣) .

- 
- (١) المفارط : الحقائق والبساتين .  
 (٢) الادفوى : الطالع السعيد ص ١٥  
 (٣) الادفوى : الطالع السعيد ص ٢٧ .



كل هذه المحاسن والصفات التي كانت عليها قوص  
في ذلك الوقت قد رغبت وحبيت الكثير من الامراء  
والسلاطين أن يفدوا اليها في فراغهم ليقضوا بها وقتا  
طيبا ، فالسلطان قلاوون كان يتحين الفرص للسفر الى  
قوص هو وبعض من أفراد حاشيته للسياحة والاستجمام  
وصيد الغزلان التي كانت تكثر بصحرائها الشرقية (١) .

---

(١) ابن تيمى يردى : النجوم الزاهرة حوادث ٧١٠ هـ

## قوص من خلال كتابات المؤرخين والجغرافيين والرحالة العرب في العصر الاسلامى

---

لقد ورد الحديث عن قوص فى كثير من كتب  
المؤرخين والجغرافيين والرحالة العرب خلال هذه الفترة  
وصوف نستعرض ما قاله هؤلاء عنها منذ تأسس الدولة  
الفاطمية حتى أواخر حكم المماليك .

فى عصر الدولة الفاطمية ٢٩٧ هـ - ٥٥٥ هـ  
( ٩٠٩ م - ١١٦٠ م )

مر بها الرحالة الفارسى ناصر خسرو المتوفى ٤٨١ هـ  
١٠٨٨ م وهو فى طريقه الى أسوان جنوبا ومنها الى بلاد  
المشرق فكتب عنها فى رحلته المعروفة بسفرنامه (١) :  
يقول : ( ومن هناك بلغنا مدينة تسمى قوص رأيت فيها  
أبنية عظيمة من الحجارة تبعت على العجب وهى مدينة  
قديمة محاطة بسور من الحجر وأكثر أبنيتها من الحجارة

---

(١) سفرنامه : كلمة فارسية بمعنى كتاب الرحلة .

الكبيرة التي يزن الواحد منها عشرين أو ثلاثين ألف «من» (١)  
والعجيب أنه ليس على مسافة عشرة أو خمسة عشر  
قرسنا منها جبل أو محجر فمن أين وكيف نقلوا هذه  
الحجارة (٢) .

ثم يأتي من بعده الجغرافي العربي المعروف الشريف  
الإدريسي المتوفى ٥٦٠ هـ ١١٦٤ م يتحدث عن هذه المدينة  
في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق قائلا : ( قوص  
بالجبهة الشرقية من النيل وهي مدينة كبيرة بها منبر  
واسواق جامعة وتجارات رابحة والبركات ظاهرة وشرب  
أهلها من ماء النيل وبها بطون طيبة وضروب من الحبوب  
كثيرة ممكنة ولحوم ثدفة (٣) حسنة المنظر لذينة المأكول  
لكثرة نعمها كان هواؤها وبائيا وأهلها مصفرة ألوانهم  
وقليل ما دخلها غريب وسلم من المرض الا نادرا (٤) .

وفي عصر الدولة الأيوبية ٥٦٧ هـ - ٦٤٨ هـ  
١١٧١ م - ١٢٥٠ م زارها الرحالة المغربي بن جبير  
المتوفى ٦١٣ هـ ١٢١٦ م

(١) من : مقياس ، الوزن = رطلين .

(٢) لاصر خسرو : سفرنامه ، نقله من الفارسية الى العربية

الدكتور يحيى الخشاب ص ٧١

(٣) ثدفة : أى كثيرة اللحم .

(٤) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٤٩ .

ووصفها في رحلته وصفا دقيقا فنراه يقول ( وهذه المدينة حافلة الاسواق متسقة المرافق كثيرة الخلق لكثرة الصادرات والوارد من الحجاج والتجار اليمن والهنديين وتجار الحبشة لانها محط للرحال ومجمع الرفاق وملتقى الحجاج المغاربة والمصريين والاسكندرنيين ومن يتصل بهم ويفوزون بصحراء عيذاب واليها انقلاهم في صدرها الى الحج (١) ) وفي معجم البلدان لياقوت الرومي المتوفى ٦٢٦ هـ ١٢٣٣ م أن قوص بالضم ثم السكون وصاد مهملة وهي قبطية أى أن قوص كلمة قبطية : مدينة كبيرة عظيمة واسعة ، وهي قصبه صعيد مصر بينها وبين القسوط اثنا عشر يوما ، وأهلها أرباب ثروة واسعة وهي محط التجار القادمين من عدن وأكثرهم من هذه المدينة وهي شديدة الحر لقربها من البلاد الجنوبية ، وبينها وبين فقط فرسخ (٢) وهي شرقي النيل بينها وبين بحر اليمن خمسة أيام أو أربعة (٣) .

وفي عصر سلاطين المماليك ٦٤٨ هـ - ٩٢٣ هـ ١٢٥٠ م - ١٥١٧ م اتسع الحديث عن هذه المدينة عند كثير من مؤرخي هذا العصر فمن هؤلاء أبى الفدا ٧٣٢ هـ ١٣٣١ م الذي يقول عن هذه المدينة في تقويم بلدائه (٠٠) قوص مدينة بالصعيد وليس بأرض مصر بعد القسوط

(١) ابن جبير : الرحلة ، تحقيق الدكتور حسين حسار

ص ٣٦ - ٣٧ .

(٢) ياقوت الرومي : معجم البلدان ، مادة قوص .

مدينة أعظم منها وهي قرضة (١) التجار من عدن ، وهي على حافة النيل من البر الشرقي وفرضت قوص قصير بضم القاف وفتح الصاد المهملة ثم ياء آخر الحروف وراء مهملة ، والقصير ميناء على بحر القلزم وهي على ثلاثة أيام من قوص في مضاره (١) ولم يصف جنى الدين عبد المؤمن عبد الحق في كتابه مراصد الاطلاع شيئا جديدا سوى انه ضبط اسمها وحدد المسافة بينها وبين القسقاط وقال ( قوص بالضم ثم السكون وصاد مهملة مدينة كبيرة عظيمة واسعة وهي قصبة صعيد مصر بينها وبين القسقاط اثنا عشر يوما وبينها وبين قفط فرسخ (٣) ) .

ثم يأتي الأدفوى صاحب الطالع السعيد الذي تحدث عن هذه المدينة حديثا مستفيضاً في أكثر من موضع فوصفها وتغنى بها وتحدث عن مدارسها وفقهاؤها وعلمائها وأهل الرأي فيها ويشترك معه في الحديث عنها معاصر له هو ابن فضل الله العمري المتوفى ٧٤٩ هـ ١٣٨٠ م في كتابه مسالك الأمصار في ممالك الأمصار الذي يقول فيه ( إن قوص أكبر مدينة بالصعيد وفيها تنزل القوافل الواردة من بحر الهند والحبس واليمن والحجاز بعد مرورها بصحراء عيذاب وفيها كثير من الفنادق والبيوت

(١) قرضة : طريق منحدر من وسطه وجانبه

(٢) أبو الفدا : تقويم البلدان ص ١١٠ - ١١١ .

(٣) جنى الدين بن عبد الحق : مراصد الاطلاع ج ٢ ص ٤٢١ .

الفاخرة والحمامات والمدارس والبساتين والحدائق  
ومزارع الخضروات ، ويسكنها سائر أرباب الصنائع  
والفنون والتجار والعلماء والأغنياء وذوو العقارات  
والأملاك ، وهوؤها فى غاية الحرارة ( ١ ) .

وفى النصف الثانى من القرن الهجرى زارها الرحالة  
المغربى ابن بطوطة المتوفى ٧٧٩ هـ ١٣٧٧ م فوصفها قائلا  
( قوص بضم القاف مدينة عظيمة لها خيرات مميسة  
بساتينها مورقة واسواقها مولقة ولها المساجد الكثيرة  
 والمدارس الأثيرة (٢) وهى منزل ولاية الصعيد وبخارجها  
زاوية الشيخ شهاب الدين عبد الغفار وزاوية الأفرم وبها  
اجتماع الفقراء المتجردين (٣) فى شهر رمضان من كل  
سنة ، ومن علمائها القاضى جمال الدين السديد والخطيب  
بها فتح الدين بن دقيق العيد أحد العلماء والبلغاء الذين  
حصل لهم السبق فى ذلك لم أر من عائلته الا خطيب  
المسجد الحرام بهاء الدين الطبرى وخطيب مدينة خوارزم  
حسام الدين الشاطبى (٤) .

وقد تحدث عن هذه المدينة أيضا المؤرخ المصرى  
المعروف بابن دقماق المتوفى ٨٠٩ هـ ١٤٠٦ م فى كتابه

---

(١) نقلا عن عل باشا مبارك : الخطط ج ١٤ ص ١٣٨ .

(٢) الأثيرة : المحبوبة .

(٣) المتجردون : الصوفية .

(٤) ابن بطوطة : الرحلة ج ١ ص ٢٩ .

الانتصار بواسطة عقد الامصار قائلا : ( ٠٠٠ ) أن هذه المدينة قديمة تعرف بقوص العالية بنيت في زمن شدات ابن عديم وهو السادس من ملوك مصر بعد الطوفان بناها لابن له كان قد سخط عليه وعلى أمه فبنى لهما هذه المدينة وحولهما اليها واسكن عندها قوما من أهل الحكمة وأهل الصناعات ، وهي على ضفة النيل الشرقي وهي الآن مدينة الاقليم بعد أن كانت مدينة الاقليم قد خرجت في سنة ٤٠٠ هـ ١٠٠٩ م وبها الآن متولى الحرب السعيد وقاضى القضاة وقيل انها سميت بقوص بن شنفاق بن أشمن بن مصر وهي باب مكة واليمن والنوبة وسواكن والتاكة (١) وبهذه المدينة ستة عشر مكانا للدرس (٢) .

وفي حديث شهاب الدين القلقشندي المتوفى ٨٢٣ هـ ١٤٢٠ م في كتابه صبح الأعشى في صناعة الانشا ما نصه ( قرص يضم القاف وسكون الواو وهي مدينة جليلة على البر الشرقي من النيل ذات ديار فائقة ورباع أنيقة ومدارس وربط وجماعات يسكنها العلماء والتجار وذوو الأموال ولها البساتين والحدائق المستحسنة الا أنها شديدة الحر كثيرة العقارب حتى أنه يقبض لها من يدور في الليل في شوارعها بالمسارج لقتلها ، ويقاربها في الكثرة

---

(١) التاكة : اخلف في تسميتها فمنهم من يقول البالة

(٢) ابن دثاق : واسطة عقد الانتصار ج ٤ ص ٢٩ .

سام أبرص ، قال المقر الشهابي بن فضل الله العمري في مسالك الأماص : أخبرني عز الدين حسن بن أبي الجعد الصفطي أنه عد في يوم صائف على حائط الجامع بها سبعين سام أبرص (١) على صف واحد (٢) . ويقول عنها أيضا المقريزي المتوفى ٨٤٥ هـ ١٤٤١ م في خطه ( اعلم أن قوس أعظم مدن الصعيد وهي على النيل بنيت بعد قفط في أيام ملك القبط الأول . . . وقوس كثيرة العقارب وبها صنف من العقارب القتلات حتى أنه كان يقال بها أكلة العقارب ، لأنه كان لا يرجى لمن لسعته حياة واجتمع بها مرة في يوم صائف على حائط الجامع سبعون سام أبرص صفا واحدا ، وكان الواحد من أهلها إذا مشى في الصيف ليلا خارج دأره يأخذ بيده مسرجة تضيء له وبالأخري مشك من حديد يشك به العقارب ، ثم أنها تلاشت بعد ستة ثمانمائة ، ولما كانت الحوادث والمخن مات بها سبعة عشر ألف انسان في سنة ست وسبعمائة وكانت من العمارة بحيث أنه تعطل فيها في شراقي البلاد ستة وستين وسبعمائة

(١) سام أبرص يعتقد به اليم . قال أهل اللغة وهو من كبار الوباء وقد سمي بذلك لأنه سم أي جعل الله فيه السم ومن شأن هذا الحيوان أنه إذا تمكن من الملح تبرغ فيه فيصير مادة لتولد الرص ، راجع الجزء الثاني من كتاب حياة الحيوان الكبرى للعمري ص ١٣ - ١٤ . بتصرف .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ج ٣ ص ٤٠١



وخمسون مغلقا ، والمغلق عندهم بستان من عشرين فدانا  
فصاعدا وله ساقية بأربعة وجوه (١) . وقد أثبت ابن  
الجبعان في التحفة السنية أن مدينة قوص ليس لها طين  
أى أنه ليس لها أراض زراعية (٢) .

من كل ما جاء على لسان هؤلاء المؤرخين والجغرافيين  
والرحالة العرب فى وصف مدينة قوص يتضح لنا أن هذه  
المدينة أخذت فى العمران والتقدم منذ عصر الدولة الفاطمية  
ثم بلغت قمة مجدها وشهرتها حتى أنها عدت من أعظم مدن  
الصعيد فى عصر المماليك ، وذلك واضح ملموس فى  
وصف مؤرخى هذا العصر لها وسوف نتتبع هذه المدينة  
منذ عصر الدولة الفاطمية حتى عصر سلاطين المماليك .

فى عصر الفاطميين زارها الرحالة ناصر خسرو  
وكانت جديدة النشأة والتكوين فقد ورثت فقط بعد  
خربها سنة ٤٠٠ هـ ١٠٠٩ م كما أشار الى ذلك أغلب  
المؤرخين وقد كانت من أهم معالمها آنذاك معبد بطلبى أقامه  
أحد حكام البطالمة يتكون من سور عظيم ومبان حجرية  
ضخمة أثارت فى نفس الرحالة الفارسى ناصر خسرو  
الدهشة والعجب فاندفع مبهورا ، يقدر وزن الحجر منها  
بعشرين أو ثلاثين ألف أى ما يقرب من ثمانين

---

(١) القريظى : الخطط ج ١٢ ص ٣١١ .

(٢) ابن الجبعان : التحفة السنية باسماء البلاد المصرية  
ص ١٩٠ .

ألف رطل أو ثمانمائة قنطار ثم تأخذ هذه المدينة في النمو والانتساع والتقدم شيئا فشيئا فجددت عمارة جامعها العامرى الذى أسس فى أوائل الفتح العربى وأنشئ بها منبر فريد على الطراز الفاطمى الذى شاهده الشريف الإدريسى ، ثم كثرت بها الأسواق وراجت تجارتها وامتدت بها أسباب النعيم ورغد العيش الذى تمثل فى كثرة خيراتها من حبوب وبقول ولحوم سدفة أى كثيرة الدهن حسنة المنظر لذينة الطعم ، مما يدل على أن قوص كانت بها مراعى شاسعة للأغنام والماشية أعطت نتاجا حسنا فى العصر الفاطمى .

وفى عصر الدولة الأيوبية بعد أن سيطر الصليبيون على الشمال اكتسبت قوص على أثر ذلك مكانة مرموقة فقد تحول الطريق إليها من المشرق الى المغرب بحكم موقعها الجغرافى ، وأصبحت بذلك محط التجار وملتقى الرجال . فكثر الداخل فيها والخارج منها من تجار وحجاج يحملون جنسيات مختلفة من اليمن وعدن والحبشة وبلاد المغرب فترتب على ذلك أن نشطت قوص نشاطا ملحوظا فى تواحى الحياة الاقتصادية ، كما أشار الى ذلك مؤرخو هذا العصر .

وفى عصر سلاطين المماليك الذين امتد حكمهم لمصر أكثر من قرنين ونصف بلغت هذه المدينة قمة مجدها وشهرتها . فى شتى نواحى الحياة ، فقد ازدهرت فيها الناحية الثقافية بصفة خاصة حيث أنشئت بها ست عشرة

مدرسة ، استقبلت وفودا من طلبة العلم والمعرفة من مختلف الجنسيات كما توافد عليها العلماء والخطباء ورجال الصوفية من المشرق والمغرب ، ومن بها أيضا الحجاج السكندريون والمفسرة في رواهم وغدوهم من الأراضى الحجازية ، واتخذت أسواقها بمختلف البضائع وتمرس أهلها التجارة وخبروا فن المعاملات فاثروا على أثر ذلك ثراء فاحشا مما ترتب عليه أن تغير طابع المدينة ومظهرها الخارجى . فأنشئت بها الحصون المنيعه والفنادق والخانات والحمامات وأحواض السبل بجانب الربط والزوايا والمساجد العامة ، وكانت تحيط بكل هذه المنشآت والمباني فى الأغلب الأعم البساتين التى كانوا يطلقون عليها فى ذلك الوقت المغالق وقد كان كل بستان مساحته من عشرين فدانا فصاعدا وعليه ساقية تمتد بالماء بأربعة وجوه . ولا شك أن هذه البساتين قد أكسبت قوص حسنا وجمالا كما أنها أتدقت على أهلها الخبرات والأرزاق بقطوفها الدانية .

ولا ينبغي أن يفوتنا أن قوص كانت فى عصر سلاطين المماليك نصفه خاصة تتمتع بمكانة عظيمة فى الناحية الحربية فقد أنشئت بها سكنات عسكرية تضم آلافا من الجنود من أبناء اقليم قوص بجانب المماليك السلطانية الذين كانوا ينسكزون فى قوص العاصمة ، وكان يشرف على هذه الأعمال الحربية وتجهيز الجنود للغزو حسب أوامر السلطان

متولى الحرب السعيد الذى يشبه فى عصرنا العالمى القائد  
العالم ويتخذ من قوص مركزا له كما يقول ابن دقاق .

وقد ازدادت أهميتها بصفة خاصة فى عهد السلطان  
قلاوون الذى جعل منها قلعة حربية بحكم موقعها الجغرافى  
بين بلاد المشرق والمغرب تنطلق منها الجنود لاختضاع الثوار  
فى بلاد النوبة أو الغزو بلاد اليمن، ففي سنة ٦٨٦ هـ ١٢٨٧ م  
انطلقت الجيوش من قوص لكبح جماح ملك النوبة (سمانون)  
الذى تمرد على السلطان قلاوون ، فسار الجيش من قوص  
وعلى رأسه المماليك السلطانية المتمركزين بالأقاليم النوبية  
واجتساد مركز قوص وعمربان الاقليم وهم الزوالين بكر  
وأولاد عمرو وأولاد شريف وأولاد شسيبان وأولاد الكشم  
وبني هلال وغيرهم وكان، أن انهزم ملك النوبة سمانون  
وقتل الكثير ممن معه (١) .

كما أنه فى سنة ٦٩٢ هـ ١٢٩٢ م اتجه السلطان  
قلاوون شخصيا الى مدينة قوص ونادى منها بالتجهيز  
لغزو اليمن (٢) .

بالاضافة الى كل ذلك فان مدينة قوص قد ساهمت مساهمة  
فعالة فى بناء الاسطول المصرى فقدمت فى ذلك الصناع

---

(١) المقريزى : السلوك فى معرفة دول الملوك ج ١ قسم ٣

ص ٧٣٧ .

(٢) المصدر السابق : حوادث ٦٨٦ الى ٦٩٢ .

والفتيين المهرة فى بناء السفن بجانب خشب السنط الذى كان يكثر بها والذى يعتبر دعامة قوية فى صناعة الاسطول (١) .

كما أن هذه المدينة كانت منفى لارباب الجسرانم والمشاغبين والمناوئين للحكام فى مصر وقد ظهرت ميزة غوص كمنفى لهؤلاء فى عصر سلاطين الماليك بصفة خاصة . فقد نفى إليها كثير من خلفاء العباسيين والأمراء ، فقد نفى السلطان الناصر لدين الله قلاوون فى سنة ٧٣٧ هـ ١٣٣٦ م بالخليفة العباسى المستكفى بالله أبو الربيع سليمان بن شاذى وأولاده وكانوا قريبا من مائة نفس وظل بها هذا الثمانية الى أن توفى سنة ٧٤٠ هـ ١٣٣٩ م ودفن بها كما نفى إليها أيضا المنصور أبى بكر ابن السلطان قلاوون الذى تولى الحكم سنة ٧٤١ هـ ١٣٤٠ م وخلع فى العشر الأخير من شهر صفر سنة ٧٤٢ هـ ١٣٤١ م لفساده وشربه الخمر حتى قيل انه أتى زوجات أبيه وهتك حرم أبيه الناصر قلاوون وكثر البكاء والعويل بالقاهرة ، ثم قتل بقوص ، كان ذلك مجازاة لما فعله والده السلطان قلاوون بالخليفة المستكفى بالله (٢) .

لكنه بالرغم من كل هذه الخيرات والطيبات والمحاسن والمميزات التى كانت تتمتع بها قوص خلال هذه

(١) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ١١٠ .

(٢) على باشا مبارك : الخطط ج ١٤ ص ١٣٠ .

الفترة التي نؤرخ لها الا أنها قد تعرضت لألوان شتى من المحن والشدائد والمجاعات التي اجتاحت البلاد ففي سنة ٦٧٦ هـ ٣٧٧ وسنة ٧٠٦ هـ ١٣٠٦ م بسبب تقاصر النيل أصاب الناس لباس الخوف والجوع ونقص في الأنفس والثمرات . بجانب أن فساد هوائها وشدة حرارتها في فصل الصيف كان من العوامل التي ساعدت على تفشي الأوبئة بها واصابة أهلها بكثير من الأمراض كاصفرار ألوانهم وبدانة أجسامهم ، حتى أنك تستطيع أن تميز القوصى من غيره بوجهه المصفر وبدانة جسمه ، ونادرا ما دخلها غريب وسلم من أمراضها وذلك ما قاله الشريف الإدريسي .

وقد كان من مساوئ فصل الصيف بها أيضا كثرة العقارب والهوام ، فمما هو جدير بالملاحظة في وصف أغلب مؤرخي عصر المماليك أنهم قد أجمعوا فيما كتبوا عنها أنها كثيرة العقارب والهوام فقد عد في يوم صائف بها على حائط الجامع سبعون سام أبرص وهو نوع من الهوام القاتلة التي تعرف عند العامة في قوص ( بالوزغ ) فقد كان الشخص اذا خرج من بيته ليلا في فصل الصيف يصطحب معه مسرجا أى مصباحا ومشكا من حديد يشك به العقارب التي تقع في طريقه ، وقد كان بقوص في ذلك الوقت قوم لهم معرفة ودراية تامة بصيد هذه الهوام وتخليص الناس منها ، وذلك بواسطة عزائم وأقسام مجردة يقرأونها عليها فتقف في مكانها لا تبدى حراكا

وتكف عن الأذى أو كانوا يقرأون عليها هذه العزائم  
ويسلطونها على من شاءوا ومتى شاءوا فتتبعهم بكل جهدها  
ولا ترجع عنهم الا اذا أمرت بالرجوع .

وقد حدث أن أحد ولاية قوص في عهد الناصر علاون  
أوقف ذات مرة امرأة لها خبرة واسعة في مثل هذه الأمور  
وكانوا يطلقون عليها الساحرة أو الحاوية وأمرها أن تريه  
شيئا من عجيب صنيعها فأخبرته أن سرها الأكبر هو أن  
تسحر العقارب وتحركها كما شاءت فإذا ذكرت لها شخصا  
مشى إليه ولا تتعداه فتلدغه وتهلكه ، فقال لها أرني ذلك  
وجري في فأتت بعقرب وتلت عزائمها عليها ثم أطلقتها  
فانطلقت وراءه وهو يهرب منها بجهات شتى حتى كادت  
تلدغه فهرب منها وجلس على كرسى وسط حوض مملوء  
بالماء فوقفت على حافته تراود نفسها في خوضه ثم جرت  
على الحائط ومشى على السقف حتى صارت موازية لرأسه  
ثم رمت بنفسها فسقطت بالقرب منه وقصده فبادرها  
بضربة فقضت عليها في الحال ، ثم أمر بقتل هذه المرأة  
فورا وتخليص الناس من شرها (١) .

---

(١) على باشا مبارك : الخطط ج ١٤ ص ١٣٢ .





## الفصل الثالث

بناء المجتمع القومى فى العصر الإسلامى

### الطبقات

---

طبقة الولاة والحكام - القضاة - العلماء  
والفقهاء - التجار - الصناع والحرفيون -  
الملاحون وعامة الشعب - النصارى - الأقليات  
الرجنية - المرأة ومدى نشاطها •

---



## بناء المجتمع القوصى فى العصر الاسلامى

---

كان مجتمع قوص فى العصر الاسلامى يعتبر من أهم المجتمعات بالنسبة لسائر مجتمعات مدن الصعيد ، وذلك لأن مدينة قوص - كما سبق أن قلنا - كانت العاصمة ومقر الولاية والأمراء والحكام وبناء على ذلك فقد تمثلت فى بناء مجتمع هذه المدينة عدة طبقات وهى : طبقة الولاية والحكام - القضاة - العلماء والفقهاء - التجار - الصناع والحرفيون - الفلاحون وعامة الشعب - النصارى - الاقليات الأجنبية - المرأة ومدى نشاطها فى هذا المجتمع .

### طبقة الولاية والحكام :

وهم الذين فى أيديهم زمام السلطة الادارية فى هذا الاقليم وكانوا يلقبون بالقباب كثيرة منها : الأمير أو الوالى أو متولى الحكم ، ويعينون من قبل سلطان مصر بموسوم يسمى المرسوم السلطانى .

وكان والى قوص يعتبر من أهم ولاية الديار المصرية وذلك لمكانة هذا الاقليم وأهميته ، فقد كان يتمتع

حاكم هذا الاقليم بامتيازات قل أن يتمتع بها سواه من أمراء وحكام الأقاليم الأخرى ، منها أنه كانت تكتابه ثلاثة ملوك (١) وأنه كان فى تحركاته الرسمية يركب بالشبابه السلطانية أى الموسيقى السلطانية (٢) .

وكان نظام اللامركزية هو النظام المعمول به فى الديار المصرية فى زمن الايوبيين والمماليك ، أى أن أمير أو والى الاقليم له مطلق التصرف فى شئون اقليمه من حيث التنظيم واختيار الموظفين الاداريين الذين يتولون معاونته فى شئون ادارة اقليمه ، وهم الذين كان يطلق عليهم فى ذلك الوقت أرباب الوظائف الذبوانية ، ويشترط فيهم الصدق والأمانة والنزاهة والعفة بجانب الدراية الواسعة بالعلم والفقه ، فمن هؤلاء من كان يتولى جباية الخراج والتفتيش على الأسواق ومراقبة الموازين والكاييل وضبط التجار المختلسين والغشاشين . ثم يأتى بعد ذلك دور أرباب الأقالام وهم فئة معينة تتولى الرد على الرسائل السلطانية والمكاتبات الرسمية لابد أن تتوافر فيهم الدراية التامة بفنون الأدب حتى يتسنى لهم تدوين الرسائل بأسلوب جزل اللفظ قوى التعبير .

ولما كانت قوص مركزا من أهم مراكز البريد فى الديار المصرية يصلها البريد من قلعة الجبل المحروسة ثم

---

(١) ابن دقماق ج ٥ ص ٢٩ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٦ .

يوزع سبها الى جهة أسوان وبلاد النوبة وجهة عيذاب  
وسوان (١) استوجب ذلك أن يكون بهما ناظر للبريد  
يتولى الاشراف على تنظيم هذه العملية ويعاونه في ذلك  
البريديون ، وهؤلاء يخضعون لاشراف والى قوص كما أنه  
كانت هناك ادارة أمن قوية تتكون من العسس أو  
الشرطة وتتولى المحافظة على أرواح الناس وأموالهم وتقوم  
بالقبض على الفارين والهاربين والجرمين ، ولوالى قوص  
ممنشون له فى مدن اقليمه يتولى تعيينهم وعزلهم يطلق  
عليهم أمين الحكم أو متولى الحكم . ويقوم الوالى فى مقر  
ولايته أن قوص ويتعين عليه أن يتجول فى مختلف مدن  
القليم كى يشرف بنفسه على حسن سير الأمور ويراقب  
الموظفين ويحاسبهم على أعمالهم فيكافئ من يستحق  
المكافأة وبوقع الجزاء على المهمل المتقاعس ، وقد كان لكثرة  
خيرات هذا الاقليم وأهميته أثر كبير فى أن يتكالب على  
تولية امارته الكثير من الولاة والأمراء ويفخرون بذلك على  
سائر رلاة الأقاليم . ومن أشهر هؤلاء الأمراء والولاة  
الذين تولوا اماره هذا الاقليم ابن الرفعة ، وابن هبة الله  
التجيب وعلاء الدين الحازندار والأمير مجد الدين بن اللطى  
وشاور السعدى وسيف الدين سالار وغيرهم كثيرون قد  
أشار اليهم الادفوى فى الطالع السعيد فى تراجم مختلفة .

---

(١) القلشندي : صبح الاعشى ج ١٤ ص ٢٧١ .

فمن هؤلاء الولاة من كان يرى الله فى أفعاله فلا يظلم  
الناس شيئا بل يصنع الخير ويهب العطايا وينفق فى  
وجوه البر والاحسان الشيء الكثير ، حتى أنهم قد تركوا  
بأفعالهم الحسنة هذه انطباعات قوية على وجه مجتمع قوص  
تجلت فى انشائهم للمساجد والمدارس والربط والزوايا  
التي خلدت أسماءهم من بعدهم .

ومن هؤلاء أيضا من كان ظالما قاسيا غليظ القلب  
لا يرمى الا ولا ذمة ولا هم له الا جمع الأموال  
وانفاقها فى وجوه غير مشروعة والسلب والنهب وقطع  
أرزاق الناس . الا أن أهل قوص كانوا يملكون من  
الشجاعة والقوة ما يؤهلهم لأن يقفوا فى وجه الوالى  
المتعسف الظالم فيخبرون السلطان بأفعاله وأحواله  
ويرجونه عزله فيعزله أو يشورون فى وجهه ينكلون به ، فقد  
ورد أن أحد الأمراء فى القرن السادس الهجرى ولى قوص  
وجار على أهلها وأذاقهم العذاب ألوانا فكان أن ثاروا فى  
وجهه وقتلوه ونكلوا به فربطوا كلبا ميتا فى رجله  
وسحبوه حتى ألغوه على مزبلة (١) .

### القضاة :

هم من أهم الطبقات وأكثرها جلالا واحتراما يخضعون  
مباشرة لقاضى القضاة بالقاهرة وهو الذى يتولى تعيينهم

---

(١) على باشا مبارك : الخطط ج ١٤ ص ١٣٩ .

أو عزلهم وهم بدورهم لهم السلطة في تعيينهم ممثلين لهم في مدن اقليمهم ، وقد كانوا يمثلون المذاهب الأربعة : الشافعي ومالك وأبو حنيفة وابن حنبل الا أن هذا المذهب الأخير قليل الخطر ويتخذ قاضى القضاة لاقليم قوص مقر عمله العاصمة قوص . ولقاضى القضاة جهاز ادارى يتولى معاونته وهم : **الموقعون والشهود العلول** الذين يلعبون دورا هاما في تبصير القاضى بأمور قد تكون خافية عليه وذلك بحكم المامهم بأحوال مجتمعهم الذى يعيشون فيه وشهادتهم نافذة وقولهم فصل، ولكل بلد شهودها ويتخذون من سوق الوراقين بقوص مكانا يجلسون به يسمى حوائيت الشهود وهو ما يشبه المكاتب فى مفهومنا العصرى (١) .

### الحجاب :

وهم الذين يتولون عرض الشكاوى والمظالم وادخال الناس فى نظام الى القضاة ويعاونهم فى ذلك العسس وهم حظة الامن الذين يتولون تنفيذ حكم القاضى والقبض على الفارين وايداعهم السجن كما أن هناك دواوين وادارات تخضع مباشرة لسلطة القاضى وهذه الدواوين والادارات تعتبر من أهم الدواوين والادارات حساسية فى الدولة حيث تتولى الاشراف على أموال الدولة وأرزاق الناس ومعاشهم ، ومن هذه الدواوين : **وكالة بيت المال** التى تتولى شئون المبيعات والمشتريات من أرض أو عقار ، **ديوان الاحباس** والذى يشبه الأوقاف فى عصرنا الحاضر

(١) الادفوى : الطالع السعيد لى تراجم متفرقة .

وصاحبها يتحدث في رزق الجوامع والمساجد والربط والزوايا والمدارس والانفاق عليها . متولى الضرب وهو الذي يتولى ويرعى شئون دار ضرب النقود ويحافظ على ما بها من دنائير ودراهم وفلوس فضة كانت أو ذهباً ، ويخطر قاضي القضاة بسير العمل فيها وحسن أدائه وسلامة مقتنياتها . وقد كانت بقوص دار لضرب النقود لا تقل عظمة عن دار القاهرة والاسكندرية (١) .

وبالإضافة الى هذه الدواوين التي كان يتولى قاضي قضاة قوص الاشراف عليها ومراقبة حسن سير العمل بها نرى ضمن اشرافه أيضاً رئيس المؤذنين الذي يتولى ابديده مواعيت الأذان واثبات رؤية هلال كل شهر عربي . ويسمى أمام قاضي القضاة بمشاهدته لنبال شهر الصوم المبارك وعليه أيضاً أن يحدد أيام اللواسم والأعياد الدينية . وكان لوظيفة رئيس المؤذنين هذه كيانهما في عصر الأيوبيين والمماليك فكان لا يليها الا من كانت له دراية تامة بعلوم الميقات (٢) . وكذا عاقد الإنكحة وهم الذين يتولون اجراء عقود الزواج بالصيغة الشرعية بين الناس ، وقد كان مقرهم في حوانيت لهم أيضاً بسوق الوراقين بقوص .

ونظراً لأن هذه الدواوين والوظائف كانت تهم عامة

(١) المقرئى : ج ١ ص ١٧٧

(٢) الادفوق : الطالع السعيد . الترجمة رقم ٤٤٣ .



الشعب ، ترتبط ارتباطا وثيقا بشئون ديانته ، فقد حظيت من قاضى القضاة فى كل اقليم بإشراف دقيق ومباشرة فعلية حتى يتسنى له أن يقف على حسن سير الامور فيها ويعاقب كل من يتقاعس أو يهمل من المسئولين فيعزله أولا ثم يوقع عليه عقابا صارما عنيفا لا تأخذه فيه رحمة فقد حدث أن رئيس المؤذنين فى قوص اختلط عليه معرفة وقت الاذان فأقامه فى غير مواعده الشرعى فأقصى من هذه الوظيفة ومنع عنه راتبها فترك قوص وتوجه الى اليمن (١) .

وقد كان القضاة يعقدون جلساتهم فى الجامع أو فى بيت القاضى أو مكان متسع فى المدينة ، وهم يرتدون اللون الأسود من الثياب المكون من الطرحات والعمامة والشاة ولا يلبسون الحرير أو ما غلب عليه ، وإذا كان الشتاء كان ملبوسهم من الصوف الأسود ، ولا يلبسون الملون الا فى بيوتهم (٢) .

### العلماء والفقهاء :

لقد كانوا من الكثرة فى هذه المدينة حتى أنهم يفوقون الحصر ، وذلك لأن مدينة قوص كانت مشهورة فى ذلك الوقت بكثرة جوامعها ومدارسها التى بلغت ست عشرة مدرسة ، ولقد كان أغلب هؤلاء العلماء والفقهاء ليسوا

(١) المصدر السابق الترجمة رقم ٤٤٣

(٢) الدكتور على ابراهيم حسن : مصر فى العصور الوسطى .

من أهل قوص وانما هم من بلاد المغرب والمشرق كسبته  
 وقرطبة والمهدية ومكة ودمشق وسهرورد واذا ذكر العلماء  
 والفقهاء في قوص فانما يذكر البيت القشيري وهو بيت  
 العلم والفقه في هذه المدينة فقد تصدى جل أفراد رجالاته  
 ونساء للدرس والفتوى وعلى رأسهم الشيخ الفقيه  
 مجد الدين القشيري الذي تخرج على يديه مختلف أبناء الصعيد  
 فلا تكاد تخلو ترجمة من تراجم الطالع السعيد للادفوى  
 الا ولاسمة ذكر فيها ، وابنه العالم الفقيه تقي الدين بن دقيق  
 العيد القشيري قاضي قضاء المسلمين في العصر  
 المملوكي (١) .

وقد اكتسبت طبقة العلماء والفقهاء عموما احترام  
 الناس واجلالهم فالأمراء والحكام كانوا يجلونهم ويقدرونهم  
 ويخشونهم ويخافوهم ، وكثيرا ما كانوا يتشفعون للناس  
 عندهم فتقبل شفاعتهم (٢) وقد تقلد الكثير منهم مناصب  
 رئاسية في الدواوين .

### التجار :

لا نكون مبالغين اذا قلنا أن أغلب أبناء  
 قوص كانوا يشتغلون بالتجارة وذلك بحكم موقع مدينتهم  
 الجغرافية فهم قد حذقوا فن المعاملات من هؤلاء الوافدين  
 عليهم من تجار المشرق والمغرب ، ولقد ركبوا في سبيل

---

(١) الادفوى : الطالع السعيد . الترجمة رقم ٤٦٣

(٢) الادفوى : الطالع السعيد . الترجمة رقم ٢٣١ .

التجارة كل صعب فعبروا البحار وطافوا بشتى المدن  
والعواسم الاسلامية يتجرون فى المنسوجات بمختلف  
أنواعها والتوابل والعطور والأصبغ والزيت وما الى ذلك  
وقد أثروا من هذه التجارات ثراء فاحشا .

### الصناع والحرفيون :

بجانب طبقة التجار هذه نرى أيضا  
طبقة الصناع والحرفيين ، فقد شهدت قوص  
العديد من الصناعات اليدوية كصبغة المنسوجات ودباغة  
الجلود وصناعة الحصر والبرام ، وهى الأوانى الفخارية ، وقد  
ظهر فى مجتمع قوص النسيج والصبغ والدباغ وغير  
ذلك . وبجانب هؤلاء نرى الحرفيين وهم المكاريون من  
لهم دراية بالحديد من بيع وشراء وتربية . والكناسون  
والاسكافيون والسقاءون والحدادون والقصابون وقد كان  
لكل صناعة وحرفة شيخها الذى يتولى شئونها .

### الفلاحون :

لا نلمس فى مجتمع قوص هذه الطبقة بالمعنى  
المفهوم ، وذلك لأن قوص كانت كسا يقول ابن الجيعان ،  
ليس لها طين أراض زراعية وانما كان هناك البستانيون  
ومفرده بستانى وهو ( الجنائنى ) أو ( الفكمانى ) وهو  
الذى يشرف على الحدائق والبساتين ويتولى جمع ثمارها  
والإتجار فيها ، وهؤلاء كثرة فى مجتمع قوص ، وذلك لأن

أغلب البباني والمنشآت في هذه المدينة كانت السمة الغالبة عليها أن تحاط بالحدائق والبساتين المورقة . وقد خبر هؤلاء البستانيون مختلف أنواع الفواكه من حيث زراعتها وتسويقها .

### العوام :

هم الطبقة الدنيا في كل مجتمع وفي مجتمع قوص يتمثلون في حملة المشاغل أى الذين يحملون البيارق في المواسم والاعياد والسقائين والكناسين والامسكافيين ، بجانب هؤلاء نرى قطاع الطرق والصوص وكان هؤلاء يشكلون خطراً على المجتمع من حيث استتباب الأمن فيه لكثرة شغبهم وأعمالهم التخريبية .

### النصارى :

كانت مدينة قوص مكتظة بالنصارى منذ أقدم العصور ، وحينما فتح العرب مصر وانتشر الدين الاسلامي أسلم من هؤلاء من غمر الله قلبه بالايمان فبقى منهم من بقى على دينه ، والدليل على كثرة النصارى في هذه المدينة كثرة الكنائس والأديرة بها فقد ذكر أبو صالح الأرمني في كتابه الكنائس والأديرة (١) ، وعبد الغفار بن نوح الأقصرى الادفوى والمقرىزى في مؤلفاتهم عديدا من

---

(١) أبو صالح الارمنى : كنائس وأديرة مصر ص ١٠٣ .

هذه الكنائس والأديرة بالاضسافة الى انه كان لهؤلاء النصارى خصوصاً فى عصر الأيوبيين والمماليك مطلق الحرية فى أدائهم لشعائهم وطقوسهم الدينية والاحتفال بأعيادهم ومواسمهم ، وهم أى النصارى يمتازون بالنزاهة والأمانة والعفة والصدق والاخلاص فيما يؤدونه من أعمال بجانب أنهم كانوا مهرة فى علم الحساب ، لذلك فإن الأمراء والحكام أسندوا اليهم جباية الخراج وشئون الحسبة وكل ما يتعلق بشئون المال أيضاً ، وقد كانت تربطهم بالمسلمين صلة ود قوية حتى أن قسيسيهم ووجهائهم كانوا يحترمون ويجلون علماء المسلمين ويقدرونهم، فقد ورد أن العالم الفقيه الشيخ على بن وهب بن مطيع القشيري وهو من أشهر العلماء فى قوص قصد يوماً مستوفياً نصرانياً له صورة وجاه يتولى جمع الخراج من الناس كى يتشفع عنده لصاحب حاجة ، فأمر أن يصحبه الى بيت هذا المستوفى فقال له الخادم متعجباً : ياسيدى أنت تريد أن تمشى الى بيت هذا النصراني ؟ ، فأصر الشيخ العالم الفقيه على ذلك واتجه الى بيت هذا المستوفى وطرق الباب فخرجت الجارية فقال لها الشيخ الفقيه قولى لسيدك ان الشيخ الفقيه المدرس بالباب ، ودخلت فاذا المستوفى قد خرج حافياً وقال ياسيدى كنت ترسل الى خادمك وأنا أحضر اليك (١) وهذه الواقعة تعطينا صورة صادقة على مدى الاحترام المتبادل بين علماء المسلمين ووجهاء النصارى فى قوص .

(١) الأدهوى : الطالع السعيد ، الترجمة رقم ٣٣١ .

## الأقليات الأجنبية :

لقد شهد مجتمع قوص في العصر الاسلامى عددا من الجنسيات المختلفة من الشرق والمغرب عاشت تحت وارف ظلاله وذلك لان هذا المجتمع فى ذلك الوقت كان مجتمعا مفتوحا لقوافل التجار والحجاج من المشرق والمغرب فقد ذكر ابن جبير وياقوت الرومى وغيرهم عددا من هذه الجنسيات مثل العدنيين واليمنيين والأحباش والهنود والمغاربة وعرب التكرور وهم من قبائل غرب افريقية ، كل هذا الخليط العجيب من هذه الجنسيات كان يعيش فى مجتمع قوص ويشغل بالتجارة فى منتجات المغرب واليمن والحبشة وافريقيا الوسطى وقد نشأت فيما بين هذه الاقليات من التجار ما يسمى برابطة التجار أطلق عليها اسم ( التجار الكارمية ) أو الكانمية (١) واتخذ هذا الاسم على الخصوص اعتبارا من العصر الأيوبي ، وكانوا يتجرون فى التوابل ( الفلفل ) والبهار ) وكانت قوص احدى المراكز الهامة فى الديار

---

(١) الدكتور عبد الرحمن زكى : الاسلام والمسلمون فى شرق  
الهندية ص ٥ ، حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى  
افريقية ج ١ ص ٥٨ - ٥٩ ، الدكتور صبحى لبيب : مقال بعنوان  
التجارة الكارمية فى مصر فى المصور الوسطى ، المجلة التاريخية  
المصرية المجلد الرابع العدد الثانى مايو ١٩٥٢ من ص ٥ - ٦٤٠ ،  
القلشندى : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

المصرية في هذه التجارة وقد انضم الى هؤلاء التجار الكثير من التجار في مختلف بلاد الاقليم وقد امتازوا بالورع والتقوى وتمسكهم بالدين الحنيف حيث أنهم جعلوا من أنفسهم دعاة للاسلام الى جانب اشتغالهم بالتجارة .

وقد دخل هؤلاء التجار بلاد الحبشة تحت ستار التجارة وأخذوا ينشرون الدعوة بين الاحباش فأسلم على أيديهم الكثيرون ، وقد أثرى هؤلاء من خلال هذه التجارة ثراء عظيما حتى أنهم أصبحوا يمثلون في قوص طبقة الرأسمالية الا أنهم قد أففقوا الكثير من أموالهم هذه في نشر الدعوة الاسلامية في البلاد التي كانوا يسافرون اليها ، كما أن مجتمع قوص قد استفاد كثيرا من هؤلاء فأنشأوا به عديدا من الربط والزوايا والمساجد كما أنهم أجزلوا في العطاء لرجال العلم والدين والشعراء أيضا وقد ورد ذكر الكثير منهم عند ابن نوح في كتابه الوحيد والادفوى في طالع السعيد (١) .

### المرأة ومدى نشاطها :

لقد كان للمرأة أيضا في مجتمع هذه المدينة نشاطا ملحوظا في شتى نواحي الحياة فلقد أخذت طريقها الى

---

(١) ابن نوح : الوحيد في ورقات متفرقة . الادفوى : الطالع

السعيد : تراجم متفرقة .

السوق كى تبتاع ما تتطلبه فى شئون حياتها من مأكـل ومشرب وملبس ، ملتزمة فى ذلك الحشمة والوقار أثناء خروجها من منزلها ، فهى تضع القناع على وجهها ولا تبدى تبرجا فى زيها لذلك فقد كسبت احترام مجتمعها واجلاله ولقد لعبت دورا هاما فى الوقوف بجانب زوجها ومعاونته فى أمور دنياه حيث حرصت على أن تهيب له حياة هائلة أمنة كان لها أبعد الأثر فى حياته وتقدمه فى أعماله ، لذلك فهو يغار عليها فيأنف أن تقف بجانبه فى متجره أو حائوته تساعده فى أمور معاشه وكان يرى فى ذلك عارا وشنارا . وأما فى جانب الحياة الدينية فقد سجلت المرأة القوسية بكل فخر جهدا محمودا والدليل على ذلك أنه قد تردد فى مجتمع قوص كثير من أسماء النساء الشهيرات اللائى لعبن دورا هاما فى هذا الجانب . وإذا ما ذكرت الناحية الدينية فى قوص فإنه يذكر البيت القشيري فقد خرج من هذا البيت المعروف كثير من النساء الجليلات شاركن مشاركة فعالة فى نشر الثقافة الإسلامية فى ربوع إقليم قوص ، فمنهن تاج النساء بنت على القوسية ، وخديجة بنت على بنت وهب القشيرية ، ورقية بنت محمد بنت على بن وهب القشيرية ، وقد تحدث الادفوى فى طالع السعيد عنهن فى تراجم متفرقة (١) بالأضالة الى ابن نوح الاقصي

---

(١) الادفوى : الطالع السعيد . الترجمة رقم ١٠٧ والترجمة رقم ١٦٤ والترجمة رقم ١٧٠ .



في كتابه الوحيد قد أشار أيضا الى كثير منهم مثل السيدة المعروفة ( بالست سلامة ) الفقيهة المحدثه التي كانت تلبس الأزرق من الثياب وتشترك في العلوم الفقهية والمعروفة بمواصلة الأربعين النووية وقد كسبت بتقواها وصلاحها هذا تقدير الوجهاء والاكابر من اقليم قوص (٢) . من خلال هذا النشاط الذي أحرزته المرأة القوصية وبصفة خاصة في الجانب الديني ، ونستطيع أن نقول ان المرأة بوجه عام في مجتمع قوص في العصر الاسلامي كانت على قسط وافر من الفهم والادراك لتعاليم دينها ودنياها .

---

(١) ابن نوح : الوحيد ج ١ ورقة ١٨٤ وجه .



## الفصل الرابع

الحياة بوجه عام في مجتمع قوص خلال هذه الفترة

---

المنشآت والمباني - الاسسواق والهوانيت  
والتجار والصناع - المواسم والاعياد الدينية -  
موسم الحج - الطريق من قوص الى الاراضي  
الجهلزية - وسائل اللهو والتسلية -  
الموسيقى والغناء والفنون .

---



## الحياة بوجه عام في مجتمع قوص في العصر الاسلامي

من الواضح فيما سبق أن أوردناه من خلال حديث المؤرخين عن مدينة قوص أن مجتمع هذه المدينة يكاد يكون منفردا بين مجتمعات مدن الصعيد بأسره وذلك من حيث ازدهاره ونشاطه في مختلف جوانب الحياة ، فهو مجتمع مفتوح لعديد من الجنسيات فأنت ترى فيه العدني والحبشي واليمنى والمغربى . وهؤلاء إما تجار أو حجاج أو مسافرون أو علماء وفقهاء نزلوا هذه المدينة وأقاموا بها فترة ثم أنست نفوسهم طيب المعيشة بها فاستوطنوها وتناكخوا على أرضها وأعقبوا نسلا صالحا . وهذا الخليط العجيب من هذه الجنسيات المتباينة في العادات والتقاليد الاجتماعية والطباع تفاعلت بمرضى الزمن في سهولة وينثر مع سكان هذه المدينة الاضليين وكونوا مجتمع قوص في العصر الاسلامي . وقد كان نتيجة لذلك أن الحياة في هذه المدينة أصبحت متدفقة في كل ركن من أركانها وفي كل موسم من مواسمها الدينية وأعيادها وبصفة خاصة في عصر سلاطين المماليك .

ونحن من خلال كتب المؤرخين والرحالة العرب سوف  
نتلمس جوانب الحيسة في هذه المدينة في شوارعها  
ومنشأتها وأسواقها وحوانيثها وفي كل مظهر من مظاهر  
أهلها الاجتماعي .

### المنشآت والمباني :

تطل مدينة قوص على الساحل الشرقي من النيل  
وتستقبل الوافدين إليها بمبانيها ومنشآتها العديدة  
كالمنازل التي يتكون أغلبها من الحجارة أو الطوب الأحمر .  
وقد امتازت هذه المنازل بكثرتها والتصاقها ببعضها ثم  
القصور التي تخص أصحاب الثراء والجاه والتجار وأرباب  
المعاشات ، بالإضافة الى الفنادق والنزل والخانات ، وهي  
لايواء الغرباء والوافدين . ومن أشهر خانات قوص خان  
يعرف بخان السلطان (١) يقع بظاهر هذه المدينة قد بناه  
أحد السلاطين وهو عبارة عن ساحة مربعة بداخلها ثلاثة  
صفوف من الممرات بعضها فوق بعض يتكون من غرف  
صغيرة مؤنثة وبه صحن متسع من الداخل تربط فيه دواب  
الزلاء والوافدين ويحيط جوائبه من الخارج حوائط  
التجار (٢) وقد تعرض خان قوص هنا لحريق مدمر (٣) .

---

(١) الادفوى : الطالع السعيد ، الترجمة رقم ٢٢١ .

(٢) البستاني : دائرة المعارف الاسلامية مادة خان .

(٣) الادفوى : الطالع السعيد ، الترجمة رقم ٢٣١ ص ٢٨٨ .

وقد كانت قوص تنص بالأسبلة (١) والحمامات التي من أشهرها حمام يعرف بحمام الزبير ، والربط والزوايا والمدارس والمكاتب ثم المساجد والجوامع بمآذنها ومناراتها السامقة والعامرة دائما بذكر الله ، وكل هذه المنشآت والمباني غالبا ما كانت تحاط بالبساتين والحدائق التي تكسبها روعة وجمالا وحسنا وتعتبر هذه المنشآت منافع عامة يتبرع باقامتها السلاطين والامراء وأرباب الجاه والثراء ، ويوقفون عليها الاوقاف والاحباس لذلك فهي تحمل أسماءهم في الأغلب الأعم ، وقد امتازت قوص بشوارعها ودروبها وكثرة أزقتها وعدم استوائها فهي كثيرة المرتفعات والمنخفضات ، كما أنها أيضا كثيرة المنحنيات والمنعطفات تكتظ دائما بالبيعة الجائلين والسقائين وأرباب الحرف وتضياء ليلا بالاسرجة والقناديل (٢) .

### الأسواق والخوانيت :

تمثل الأسواق في مدينة قوص نهضتها الاقتصادية فمن خلال هذه الاسواق ومن خلال نشاطها وتقدمها وازدهارها نستطيع أن نقف على مدى تطور هذه النهضة الاقتصادية التي كانت تعيشها قوص خلال هذه الفترة ،

(١) الأسبلة مفردة سبيل .

(٢) ابن نوح الاقصرى الوحيد : ورقات متفرقة .

فقد كانت هذه الاسواق دون ما جدال عامرة بالداخل فيها والخارج منها من التجار وأرباب المعاشات كما أنها كانت مليئة بالخوانيت المكتظة بمختلف البضائع من المشرق والمغرب ، وقد وصف الشريف الإدريسي وابن جبير هذه الاسواق والخوانيت بأنها جامعة كثيرة الخيرات ومن أهم أسواق قوص : سوقان هاما هما سوق الغرابلين وسوق الوراقين . فأما سوق الغرابلين أو المغربيين فقد كان يقع في ظاهر هذه المدينة يتوسطه مسجد مشهور يسمى بالمسجد المعلق ، وهذا السوق يزخر بمختلف أنواع الغلال والحبوب التي كانت ترد الى مدينة قوص من توابعها . وهو مقر رئيسي لتجار الحبوب من مختلف أنواعها من قمح وشعير وقول وذرة وعدس وما الى ذلك كما أن اسمه ارتبط بالغرابلين الذين هم طائفة تتولى غرلة الغلال وتنقيتها من الأتربة والسوس والشوائب التي من شأنها ان تجعل الدقيق بعد خبزه مرا (١) .

وأما سوق الوراقين فقد كان صوقا نشطا ساعده على نشاطه ، هذا ما كانت تتمتع به قوص من نهضة ثقافية واسعة خلال هذه الفترة ، وقد قال في تعريفه ابن خلدون أن أهله هم المعنيون بالانساخ والتصحيح والتجليد وسائر

---

(١) عبد الرحمن ابن نصر الفسيزي نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ٢١ .



الامور الكتابية والدواوين (١) ، وبناء على ذلك فان هذا السوق يرتبط ارتباطا وثيقا بالعلماء والفقهاء والطلبة الذين كانت تكتظ بهم مدينة قوص في ذلك الوقت الاضافة الى ارباب الاقلام من رجال الدواوين . ونحن اذا ما تجولنا في سوق الوراقين هذا نجد أنه كان حافلا أيضا بحوانيت الشهود وعاهدوا الانكحة الذين يتولون اجراء عقود الزواج بجانب النساخ المعروفين بخطهم الجيد الحسن الذين يجلسون منهمكين في نسخ الكتب الفقهية والتاريخية وبيعها بأثمان مرتفعة ، وكذا المجلدون البارعون في فن تجليد الكتب بعد نسخها بالاضافة الى باعة الورق والأقلام والحبر (٢) كل يحاول أن يروج لتجارته وسلعته وفوق كل هؤلاء نجد أيضا طائفة تخصصت في كتابة الشكاوى والمظالم للناس امتازت بأسلوبها القوي الدقيق في تصوير الشكوى أو المظلمة حتى أن الحاكم أو القاضي حين ينظرها تأخذ بصاحبها الشفقة أو العطف فيبرم حكما في صالحه . ولكنه مع الاسف أن جميع العاملين في هذه السوق قد تفشت بينهم الوشائيات والفتن والتميمة فكان سلوكهم مع الواردين عليهم سلوكا شائنا فهم يسلبون الناس أموالهم ويغفلون لهم في القول ويعطونهم وعودا غير صادقة لذلك فان الناس قد سمات الظن بهم

(١) ابن خلدون المقدمة ص ٤٢١ .

(٢) الادلوى : الطالع السعيد ص ٥٧٦ .

وبمعاملتهم • وقد وصف هذه المعاملة السيئة أحد الفقهاء  
فى منظومة شعرية يقول فيها :

أيا سائل حالى بسوق لزمته  
يسمونه سوق الوراق ما يجدى

خذ الوصف منى ثم لا تلو بعدها  
على أحد من سائر الخلق من بعدى

يكسب سوء الظن بالخلق كلهم  
وخسة طبع فى التقاضى مع الحقـ

وينقص مقدار الفتى بين قومـه  
ويدعى على رغم من القرب والبعد

وان خالف الحكم فى أمر أمرهم  
يرى منهم والله كل الذى يردى

ولا سيما فى الدهر ان رسموا لنا  
بأربعة فى كل أمر بلا بـ

ويكفيه تمعير (١) النقيب وكونه  
يشطط (٢) بين الرسل فى حاجة الجند

---

(١) تمعير : غطسة •

(٢) يشطط : يجرى يمينا ويسارا •

وان قال انى قانع بتفردى  
فهذا معاش ليس يحصل للفرد

فبالله الا ما قبلت نصيحتى  
وعانيت ما يغنيك عنه وما يجدى

وان كنت مقهورا عليه لحاجة  
فصاير عليه ( لا تعيد ولا تبدى (١)

وبجانب هذين السوقين نرى سوق قوص العام  
الذى كان يقع فى قلب هذه المدينة وكانت تروج فيه  
مختلف البضائع والمصنوعات الواردة من بلاد المشرق  
والمغرب بجانب المحلية منها ، التى كانت تنتجها قوص ،  
فنحن نرى فيه تجار التوابل ، كالفلل والبهار ، تجار  
الكارمية ، التى سبق الحديث عنها بجانب المسك والقرفة  
والكافور وخشب الابنوس ومختلف العطور ، كما أن  
حواليت المنسوجات الحريرية والقطنية والكتانية قد  
التحم بعضها ببعض وجد أهلها الذين امتازوا بالمهارة  
والدقة التى وقفوا عليها من الوافدين عليهم من بلاد  
المشرق والمغرب فى اعطاء نتاج حسن لمصنوعاتهم هذه ،  
فمن خلال مرثية يرثى بها أحد شعراء قوص قزا  
نستطيع أن ندرك مدى نشاط هذه الصناعة التى كان  
يتمتع بها أرباب هذه الصناعات فيقول الشاعر :

---

(١) الادلوى : الطالع المسمر . الترجمة ٢٦٣ .

بكى فقدك المكوك والمقبض السنط (١)  
وناح عليك النير والتخت (٢) والمشط

وأعولت الالطاخ (٣) والمغزل السدى  
تدوره فيها أناملك النشـط

أنامل لم تخلق لشيء سوى السدى (٤)  
ولقط وتخليص وياحبذا اللقط (٥)

فقد أعطى هذا الشاعر صورة صادقة على مدى تقدم  
صناعة الخز ( الحرير ) وبالتالى ، فقد أوضح لنا الأدوات  
والآلات التى كانت تستخدم فى هذه الصناعة فهو يشير  
الى المكوك والمغزل والتخت والنير والمشط والالطاخ ، كما  
أنه قد أكد لنا مهارة وبراعة القائمين بهذه الصناعة .

وبجانب حوانيت النسيج هذه نرى أيضا حوانيت  
دباغة الجلود والصباغة وصناعة البرام والحصر والمراوح  
وكل هذه الصناعات محلية فرضتها بيئة قوص التى  
توفرت فيها المواد الخام التى قامت عليها هذه الصناعات ،

---

(١) السنط : بالكسر - المصطلح بين الكف والساعد .

(٢) التخت : وعاء تصان فيه الثياب .

(٣) الالطاخ : ومفردها لطح : عامية يستعملها العامة للصبغة  
التي يدير حولها الحائك الغزل .

(٤) السدى : بفتح السين المهملة المقصورة - مامد من القوب .

(٥) الادفوى : الطالع السعيد - الترجمة ١٦٠ .

فقد أظهر أبناء قوص فنية ومهارة بالغة حتى انهم سيطروا على مختلف أسواق الصعيد ، فدباغة الجلود مثلا ساعدت على قيامها كثرة امراعى التى امتازت بها قوص ، وصناعة البرام التى هى الاوانى الفخارية التى كانت تستخدم فى الشئون المنزلية كأوانى الشرب والأكل والطهى قد أدى الى قيامها توافر معدن البرام ، وهو الطينة الطفلية التى كانت تقوم عليها هذه الصناعة ، وصباغة المنسوجات التى تدخل فيها كثير من النباتات كالنبيلة المتوفرة فى هذه المدينة ، وقد كانت الطريقة المتبعة فى هذه الصناعة هو أن الحانوت الخاص بها تمتد فيه أزيار مختلفة بها ألوان متعددة ، ويصبغ كل ثوب فيها حسبما يطلب صاحبه من ألوان الصبغ . فهذا نهر قد خصص لصباغة اللون الاحمر ، وآخر قد خصص للون الازرق ، وكان الصباغ يلقي بالأثواب المراد صبغها فى هذه الأزيار يتركها مدة حتى تتمكن من اللون ويتمكن منها اللون ثم خرجها من زيرها ويعصرها عصرا جيدا ، ويبدأ بعد ذلك يدقها بمطرقة من خشب مدة طويلة حتى تغدو أصيلة لصباغة (١) . بجانب أننا نرى تجار الماشية والمكاريين الذين يتولون شراء الحمير وبيعها والحلوانيين والفرائين والخبازين وأرباب الحرف كل يحاول أن يروج لما فى يديه

(١) ابن العباد الحنبلى : شذرات الذهب ، ج ٥ حوادث ٦١٢

من بضاعة أو سلعة كما ان السقائين والحلاقين كانوا يطوفون بالشموارع والأزقة يؤدون خدماتهم في مرح وسرور . وقد كانت هذه الاسواق تقع تحت تفتيش دقيق من المحتسب الذى كثيرا ما كان يفاجئ أهل هذه الاسواق ويقتحم حوانيتهم ومتاجرهم ، ويراقب أيضا المكاييل والموازين ويعاقب كل من يحاول الغش أو التلاعب بحقوق الناس .

## ( ٢ )

وقد اختارت مدينة قوص يوم الأحد (١) من كل اسبوع سوقا لها فى هذه الفترة التى تؤرخ لها ، الا أنه لكثرة الحوادث والفتن التى كثيرا ما كانت تقع فى هذا اليوم بالذات الذى يتفق فيه خروج النصارى من كنائسهم وتجمعهم استبدلت فيه السلطات الحاكمة يوم الاثنين من كل اسبوع منعا من هذه الفتن والحوادث .

### المواسم والأعياد الدينية :

لقد حظيت المواسم والأعياد الدينية باهتمام بالغ من أهل قوص ، وذلك لشدة تمسكهم بتعاليم الدين الاسلامى الحنيف ، فقد حرصوا كل الحرص على أن يأخذوا الاحتفال بمثل هذه الأعياد والمواسم طابعا حماسيا قويا

---

(١) ابن نوح الاقصرى الوحيد .. مخطوط ج ٢ ورقة ١٥ وجه ..

فقد كانوا يفرطون في التبتل والحشوع الى الله تعالى يطلبون رحمته ورضوانه في هذه المناسبات المباركة .

ففي عيد رأس السنة الهجرية وعاشوراء وأيام المولد النبوي الشريف وغرة رجب وليلة الاسراء والمعراج وغرة شعبان وليلة النصف منه وشهر رمضان ولياليه المباركة وبصفة خاصة ليلة القدر والغرة الأخيرة منه وعيد الفطر المبارك وعيد الاضحى المبارك . كان الناس بمختلف طبقاتهم في هذه المدينة يتعاطفون فيما بينهم في كل هذه المناسبات الكريمة مظهرين شغور المحبة والأخوة يبالغون في الاتفاق في وجوه البر والخير . ولقد كانت المساجد والزوايا والطرق تضاء ليلا في هذه المواسم بالأسرجة والقناديل حتى مطلع الفجر كما كانت تقام الأذكار وتشد القصائد في مدح النبي عليه الصلاة والسلام وآل بيته الأطهار ، الا أن موسم الحج في قوس كان له طابع مميز في هذه الأعياد السابقة وذلك لأنه يحمل دالتين قويتين فالدلالة الاولى هي الدلالة الدينية وهي بيت الله الحرام والطواف بالكعبة وزيارة الروضة الشريفة ، والدلالة الثانية هي الدلالة الاقتصادية التي كانت تعيشها هذه المدينة خلال هذا الموسم من كل عام . فقد كانت تنعج الأسواق وتعمر الحوانيت بمختلف البضائع والسلع ويزداد حجم البيع والشراء ويعم الرخاء مختلف أبناء قوس بالإضافة الى أن هذه المدينة كانت تستقبل في هذا الموسم من كل عام الأمراء والوجهاء والقضاة والعلماء

والفقهاء ورجال الصوفية وهم فى طريقهم الى قضاء  
 فريضة الحج حيث كانوا يقضون بقوص الأشهر الطوال  
 قبل توجههم الى الأراضى المقدسة أو بعد أدائها فريضة  
 الحج . فالرحالة الفارسى ناصر خسرو والشرىف الادرىسى  
 وياقوت الرومى والرحالة المغربى ابن جبىر وابن بطوطه  
 قد عرفوا هذه المدينة ومكثوا فيها الأيام الطوال وأشاروا  
 إليها فى مؤلفاتهم بالاضافة الى أن محبى الدين بن عربى  
 وعمر بن الفارض وأبو الحسن الشاذلى وأبو العباس المرسى  
 هؤلاء الصغوة الأخيار قد نزلوا هذه المدينة وأقاموا بها  
 فترة طويلة خلال موسم الحج كما أشار الى ذلك ابن نوح  
 الأقصرى (١) وقد كان لهذا أثر كبير على الناحية الثقافية  
 فى قوص حيث انتهز العلماء والفقهاء فى هذه المدينة وجود  
 هؤلاء العلماء والمتصوفة بين ظهرائهم فالتفوا حولهم  
 واستفادوا كثيراً على أيديهم فى علمى الحقيقة والشرىعة .

### الطريق من قوص الى الأراضى المقدسة :

لقد كان الحجاج وهم فى طريقهم الى الأراضى المقدسة  
 يتوجهون من قوص الى صحراء شاسعة كانت تسمى فى  
 العصر الإسلامى بصحراء « عذاب » التى هى الصحراء  
 الشرقىة الآن ثم منها حيث يركبون بحر القلزم وهو

---

(١) ابن نوح الأقصرى : الوحيد فى سلوك أهل التوحيد فى

ورقات متفرقة .



المعروف بالبحر الأحمر الآن ، ولقد سبق أن أشرنا الى هذه  
المواضع من قبل ، ثم من هذا البحر يتجهون الى الأراضي  
المقدسة حيث يركبون سفنا كانت تسمى « الجلاب » وقد  
وصف الرحالة المغربي ابن جبير هذا الطريق وصفا مسهباً  
فقرأه يقول :

ان قوافل الحجاج تأخذ طريقها من مدينة قوص الى  
مكان يقال له المبرز وهو موضع في الاتجاه القبلى من قوص  
على مسافة يسيرة منها فسيب المساحة محدق بالنخيل يجتمع  
فيه رجال الحاج ويشد فيه ومنه يرحلون وفيه أيضا  
يوزن ما يحتاج اليه ويزنه على الحمالين كما كانت تعد  
وتجهز فيه الابل التي كانت الوسيلة الوحيدة للمواصلات  
فى ذلك الوقت وكانت هذه الابل على نوعين : نوع لذوى  
اليسار ونوع لعامة الحجاج البسطاء ، فأما نوع ذوى  
اليسار فيعد من الابل اليمانية ويجهز بالمحمل الموثوقة  
بالسروج السفرية ذات أذرع قد حلت بأركانها تثبت  
عليها مظلة وهى تسع راكبين يكون الراكب فيها مع عديله  
فى كن من لفح الهاجرة ويقعد مستريحاً فى وطائه متكئ  
يتناول مع عديله ما يحتاج اليه من زاد وشراب ويطالع  
متى شاء المطالعة فى مصحف أو كتاب ومن شاء ممن  
يستجيز اللعب بالشطرنج ان يلعب عديله تفكها ، وأما نوع  
عامة الحجاج فهو الابل المجردة من المحمل والسروج لذلك  
فقد كانوا يكابدون من سموم الحر عنتاً ومشقة ، وقد أوضح  
ابن جبير ان هناك طريقين يؤديان الى ساحل البحر الأحمر

وهما طريق قوص - عيذاب ، وطريق قنا / عيذاب وهذان الطريقان يلتقيان فى موضع يقال له ماء العبدین الا أن طريق قوص هذا كان أسهل وأقصر وهو الذى سلكه هذا الرحالة .

### الى عيذاب :

بعد أن تجهز الابل تشد الرحال وتسير القوافل فى صحراء كانت تسمى صحراء عيذاب وهى الصحراء الشرقية حتى تصل الى ساحل بحر القلزم أو بحر الملح أو بحر فرعون وكلها أسماء كان يعرف بها البحر الأحمر فى العصر الاسلامى وهذه القوافل تمر من موضع المبرز الآنف ذكره الى ماء يعرف بالحاجر ثم الى موضع يعرف بفلاق الضياع ثم الى محط اللقيطه ثم الى ماء العبدین وقد سمي كذلك لأن عبدین قد ماتا عطشا قبل أن يرداه ، ثم دفنا به ثم الى موضع يعرف بدناقش ثم الى ماء شاعب ثم الى ماء امتان ثم الى ماء يعرف بميجاج ثم الى ماء يعرف بالعشيرة ثم يسلك الحجاج طريقا سهلا رمليا يسمى الوضع ثم الى ماء الخبيب ثم منه مباشرة الى ميناء عيذاب على ساحل البحر الأحمر وهو من أشهر الموانئ الاسلامية فى ذلك الوقت ، وقد قطع ابن جبير هذه المسافة فى هذه الصحراء الشاسعة فى تسعة عشر يوما .

## ركوب البحر :

يركب المحجاج من ميناء عيذاب هذا البحر حتى يصلوا الى ميناء جند وكانت الوسيلة الوحيدة المعروفة لركوب البحر آنذاك هي المراكب التي كانوا يسمونها الجلابل وهي من نوع بسيط لكنه يمتاز بالمتانة في الصنع وقد كان أهل عيذاب الذين يطلق عليهم العيذازيون مهرة في صنع هذه المراكب وذلك لأنها كانت الوسيلة الوحيدة للتكسب والرزق يحملون فيها التجار والحجاج الى جدة ويردونهم وقت انفضاضهم من أداء الفريضة .

## المراكب العيذاوية :

كيف كانت تصنع هذه المراكب ؟ : لقد أعطى ابن جبير صورة صادقة عن مهارة أهل عيذاب في صنعهم لهذه المراكب ، فنراه يقول باختصار انها كانت تصنع من خشب كانوا يستوردونه من الهند واليمن بطريقة لا تدخل فيها المسامير الحديدية البتة ، وذلك بأن يقطع الخشب ألواحاً بمقاييس معينة بحيث يتضافر بعضه مع بعض عند تركيبه وهي طريقة التعشيق التي يسميها الرحالة التلفيق ثم تجمع هذه القطع ويربط كل منها مع ما يشابهها بحبل مصنوع من قشر جوز الهند ، بعد درسه ، ثم يخاط جسم المركب كله بعد ذلك بحبال من ليف النخيل خياطة محكمة بحيث لا تترك فرجة أو خرق صغير وبعد أن يتم

بناء جسم المركب بهذه الصورة يدهنونه بزيت الخروج أو بزيت سمك القرش أو السمن ويفضلون زيت سمك القرش وذلك لاعطائه قدرا من المرونة لجسم المركب حتى تتحمل الصدمات والاحتكاكات الناشئة من كثرة الشعاب الصخرية المتعرضة في مجرى البحر الأحمر ، وأما أشعتها فهي متنوعة من خوص المقل ( الذنوم ) ورغم ضعف بنية هذه المراكب إلا أنها مناسبة لطبيعة هذا البحر بسبب مرونتها ، وقد كان الحجاج يكثر من هذه المراكب من العيذابيين الذين كان الجشع يملأ قلوبهم فصاحب المركب لا تهمة سلامة الحجاج بقدر ما يهمه جمع المال فهو يشحن مركبه بأكبر عدد ممكن من الحجاج حتى تغدو كأنها الفاص الدجاج المملوءة على حد تعبير ابن جبير ، ويقولون في ذلك مثلا « علينا بالحجاج وعلى الحجاج بالأرواح » وكانت هذه المراكب تقطع المسافة في البحر من ميناء عيذاب حتى ميناء جدة في حوالى تسعة أيام حسبما أشار ابن جبير (١) .

---

(١) رحلة ابن جبير ص ٣١ - ٣٥ . ص ٣٧ .

## وسائل اللهو والتسلية فى مجتمع قوص

لقد عرف فى أهل قوص النشاط والهمة والحركة والحيوية فى مختلف أوجه الحياة فهم لا يميلون بطبيعتهم الى الكسل أو التواكل بل كان الجد والعمل والجلد من أهم صفاتهم المميزة وكان لابد والأمر كذلك الى أن يركنوا الى الهدوء والراحة والاستجمام حتى يستجمعوا نشاطهم وحيويتهم . فهم فى فترات راحتهم واستجمامهم هذا كانوا يعمدون الى وسائل كثيرة من وسائل اللهو والتسلية يقطعون فيها أوقات فراغهم . وقد كانت هذا الوسائل تختلف باختلاف السن ، فالشيوخ مثلاً وسائلهم فى ذلك تختلف اختلافا تاما عن وسائل الشبان . فلو أننا تتبعنا الشيوخ فى كيفية قضائهم أوقات فراغهم لوجدنا انهم كانوا يميلون الى التجمع فى الدواوين والساحات أو أمام منازلهم من بعد صلاة العشاء على أضواء الأسرجة والقناديل يتجاذبون الحديث فى شئون حياتهم العامة من تجارة وبيع وشراء وما الى ذلك أو انهم يعمدون الى القراءة فى بعض الكتب خاصة الكتب الدينية والتاريخية التى تتناول سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أو مناقب الأولياء

أو يتلهون بالسير الشعبية كسيرة عنتره وأبي زيد الهلالي وما إلى ذلك . وقد كانت طريقتهم في القراءة هي أن ينتدبوا شخصا من بينهم معروفا بحسن صوته وطول نفسه وقدرته على النطق السليم وهم في أثناء ذلك يتناولون أنخاب القهوة والشاي ويلفون التبغ ويقضون في ذلك وقتا طيبا . وإذا ما انتقلنا إلى الشباب وكيفية قضائهم لأوقات فراغهم نجد أن الأمر يختلف اختلافا كبيرا فالشباب أمامه وسائل اللهو والتسلية التي تفوق الحصر فقد حذق في العصر الإسلامي لعبة الشطرنج وقد كانوا يقضون فيها أوقاتا طويلة تنسيهم ماكلهم ومشربهم (١) وبجانب الشطرنج هذه كانت هناك لعبة تشبه إلى حد كبير في عصرنا الحال لعبة الورق ( الكوتشينة ) فقد ورد ذكرها في إحدى تراجم الطالع السعيد . « فهم يكتبون أوراقا في بعضها صورة شخص صاحب متاع ، وفي أخرى صورة لص ، فإذا حصلت الورقة التي فيها صاحب المتاع يقول : يا جماعة ضاع لي كذا وكذا ، وأريد شخصا أو شخصين - على قدر ما يخطر له - يحضر لي اللص . »

كما أن البعض كانوا يميلون إلى حل الألغاز الشعرية التي كانت منتشرة في ذلك الوقت والتي جرت على لسان الكثير من شعراء قوص وكانوا يجدون في حلها متعة ذهنية فائقة . وفي مجال الألعاب الرياضية نجد في

---

(١) الادلوى الطالع السعيد الترجمة ٣٩٦

الشبان ميلا شديدا الى السباحة في النيل والتسابق  
فيما بينهم بالاضافة الى انهم كانوا أصحاب باع طويل في  
العاب الوثب والقفز (١) .

### الغناء والمغنون :

لقبد كان أهل قوص عموما يميلون الى الطرب  
ويعشقون الغناء وقد عاش في مجتمع اقليم قوص بوجه  
عام كثير من الفنانين والمغنيين والملحنين الذين لحنوا  
الشعر وغنوه وقد أورد الادفوي ذكرا لكثير من هؤلاء في  
بعض تراجمه ، فقد قال ان الشيخ عبد الغفار بن نوح قد  
كتب بخط يده وهو في قوص هذه الأبيات التي يقول  
فيها :

انا افتي أن ترك الحب ذنب  
آثم في مذهبي من لا يحب  
ذق على أمرى مرارات الهوى  
فهو عذب وعذاب الحب عذب  
كل قلب ليس فيه ساكن صبوة  
عذرية ماذاك قلب  
ودفعها الى شخص يدعى جعفر المذموم الذي كان

---

(١) نفس المصدر الترجمة ٣٩٦ .

يلحن الشعر ويغنيه فلحنها وغناها وشاعت على لسان أبناء  
 قوص (١) . كما أورد أيضا أن الكاتب الأديب الناظم  
 حجازى بن أحمد الدير قطاني كان يعجب بغناء مغنية  
 تدعى « النصيفة » وقد غنت من شعره هذه الأبيات التى  
 يقول فيها :

أدخلى تدخلى علينا سرورا  
 أنت والله نزهة العشاق

لاتميل الى الخروج سريعا  
 تخرجى عن مكارم الأخلاق (٢)

وقد كان بجانب النصيفة هذه مغنية أخرى تدعى  
 « جارية النطاع » ذاع صيتها أيضا فى إقليم قوص فقد  
 كانت هى وغيرها الكثيرات أيضا يشاركن فى ليالى  
 الأفراح والمواسم والأعياد وينشدن المدائح النبوية والأشعار  
 الحكيمية والقصائد فى العشق والغزل بأصواتهن العذبة  
 الشجية التى تأخذ بأسماع أبناء قوص حتى أنهم كانوا إذا  
 ما سمعوا بلياليهن يقطعون فى ذلك مسافات بعيدة ويتكبدون  
 كثيرا من المشاق فى سبيل مشاهدتهن وسماعهن وهم فى  
 كل ذلك فى قمة السعادة والنشوة (٣) .

(١) الترجمة رقم ٢٥٠

(٢) المصدر السابق - الترجمة ١٢٢ .

(٣) المصدر السابق - ص ١٩٠ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ .



وقد كان هؤلاء المغنون والمغنيات يقومون بأداء غنائهم  
هذا على آلات موسيقية كانت معروفة في ذلك الوقت  
كالدفوف ومفرده ( دف ) والمعروف عند العامة ( بالطار )  
والشبابات أيضا ومفرده ( شبابه ) وهو ( المزمار )  
أو ( الأرغول ) والعود الذي كان يطلق على ضاربه عواد وعلى  
ضاربه عواده والرباب ومفرده ( ربابه ) وهي التي تشبه  
الى حد كبير في عصرنا الحالي ( الكمنجة ) ( ١ ) .

---

(١) المصغر السابق - ص ٧٢٤ .



## الفصل الخامس

### الحركة العلمية فى قوص فى العصر الاسلامى

---

مدارس قوص وجوامعها - خزائن الكتب  
والمكتبات - العلوم التى كانت تدرس فى هذه  
المدارس وأسائلتها - الأدب (الشعر والنثر)  
حركة التأليف - النسخ .

الحياة الروحية - الربط والزوايا - المتصوفة  
ومريدهم .

الشيعة والمنتشيعون فى قوص .

---



## الحركة العلمية في قوص في العصر الاسلامي

لقد شهدت قوص في العهد الاسلامي نهضة ثقافية واسعة النطاق لا تقل بحال عما كانت تتمتع به عواصم العالم الاسلامي في ذلك الوقت من تقدم وازدهار كالقاهرة ودمشق وحلب والاسكندرية ، وقد ساعدها على ذلك انها كانت عاصمة الصعيد وكانت من جانب آخر طريقا سهلا ميسورا نحو المشرق والمغرب ، فعرفها على أثر ذلك العديد من العلماء والفقهاء المشاركة والمخاربة في رواحهم وغدوهم من الاراضى المقدسة في مواسم الحج أو في سياحاتهم المختلفة الى المشرق والمغرب . وقد اتخذها الكثير منهم دار مقام لهم حتى وفاتهم ، وقد كان ذلك مدعاة أن ينظر اليها صلاح الدين الأيوبي مؤسس دولة بني أيوب في مصر نظرة بالغة الاهتمام فاتخذها قلعة يضرب من خلالها الشيعة الذين كانوا قد تركزوا في أغلب مدن الصعيد ، كما سيأتى الحديث فرارا من اضطهاد الأيوبيين لهم ، فأنشأ بها العديد من المدارس والجامع التي تعنى بتدريس فقه السنة ليقضى بذلك على آراء الشيعة وعقائدهم في الاسلام . وقد اقتفى طريقه من بعده أغلب

سلاطين الأيوبيين والمماليك فبالغوا في انشاء هذه المدارس والجوامع وشجعوا كذلك العلماء والفقهاء في تدريس فقه السنة على المذاهب الأربعة وأفرطوا في العطاء لهم ومنحهم الكثير من الامتيازات والمكافآت ، فتفجرت في قوص على أثر ذلك ثورة ثقافية اعتمد أثرها الى عواصم العالم الاسلامي وقد تمثلت هذه الثورة في العديد من المدارس والجوامع التي كانت تكتظ بها هذه المدينة ، وكذا هذا الحشد الهائل من العلماء والفقهاء الذين ينتسبون اليها والذين تفيض بهم كتب التراجم والطبقات التي ألفت في عصر المماليك ، بالإضافة الى تلك الجموع الغفيرة من طلاب العلم والمعرفة الذين أخذوا يتوافدون عليها من مختلف مدن الصعيد يتلقون على أيدي هؤلاء العلماء والفقهاء العلوم الاسلامية ويتفقهون في الدين الاسلامي الحنيف .

#### مدارس قوص وجوامعها :

بلغت المدارس التي أنشئت في قوص في عصرى الأيوبيين والمماليك على حد قول الأدفوى في طالع السعيد (١) والمقرىزى في خططه (٢) ست عشرة مدرسة من أهمها :

١ - المدرسة النجيبية نسبة الى مؤسسها عبد الله

(١) الادفوى الطالع السعيد ص ٢٧ .

(٢) المقرىزى الخطط ج ١ ص ٢٣٦ .

ابن النجيب القوصى المتوفى سنة ٦٤٢ هـ - ١٢٤٤ ميلادية  
والتي هي أصب الخير كما يقول أهل قوص .

٢ - دار الحديث السابقة نسبة الى السابق والى  
قوص الذى أمر بإنشائها .

٣ - المدرسة النجمية نسبة الى الملك الظاهر  
ركن الدين البغدادى الصالحى النجمى الذى أمر بإنشائها  
وتعميرها (١) .

٤ - المدرسة الغربية التى تقع على الساحل الغربى  
من مدينة قوص (٢) .

٥ - المدرسة الأفرمية التى أنشأها الأفرم أمير  
جندار فى عهد السلطان عز الدين أيبك التركمانى .

٦ - المدرسة الشمسية نسبة الى أحمد بن على  
الاستائى المنعوت بالشمس .

٧ - المدرسة السيراجية .

٨ - المدرسة الخاتومية (٣) .

٩ - مدرسة ابن الأسفونى .

---

(١) ابن الفرات تاريخ ابن الفرات ج ٨ ص

(٢) ابن نوح الاقصرى الوحيد ٠٠ ج ١ ورقة ١٨٨ .

(٣) ابن حجر العسقلانى - الدرر الكامنة ج ٣ ص ١٠٠ .

١٠ - مدرسة ابن السديد .

١١ - المدرسة السقطية .

١٢ - المدرسة المجدية .

١٣ - المدرسة العزية .

١٤ - المدرسة السابقة ، وهي ملحقة بدار الحديث  
السابقة (١) .

بالإضافة الى هذه المدارس نلمس أيضا عددا من  
الجامع والمساجد كان لها دور فعال في نشر العلوم  
الإسلامية بجانب كونها أماكن للعبادة (٢) والتي من أهمها:

١ - الجامع العمري الذي أنشئ بقوص في أوائل  
الفتح ثم سمي بالجامع العتيق ثم عرف بعد ذلك بجامع  
قوص .

٢ - جامع الجلال الذي شيده الجلال القزويني والى  
قوص .

٣ - جامع الصارم .

٤ - الجامع الأبيض .

---

(١) راجع هذه المدارس في الادفوى - الطالع السعيد في تراجم

متفرقة - الدكتور أحمد أحمد بدوي - الحياة العقلية . ص ٥٦ .

(٢) ابن نوح الوحيد في ورقات متفرقة .



- ٥ - مسجد الفتح .  
٦ - المسجد المعلق بسوق المغربلين .  
٧ - المشهد الجيوشى .

وقد كانت العادة المتبعة فى ذلك الوقت حين الانتهاء من تشييد هذه المدارس والجوامع أن يحتفل بافتتاحها احتفالا رسميا فيمد السباط ويدعى الأمراء والولاة وعلية القوم والعلماء والفقهاء ثم ينشد الشعراء قصائدهم ويلقى الخطباء خطبهم مادحين مقرطين هذا العمل الانسانى الجليل . وقد ذكر الادفوى فى طالع السعيد الخطبة التى القاها أحمد بن محمد بن هبة الله الأرمنى فى افتتاح دار الحديث السابقة التى أنشأها السابق والى قوص قال فيها :

« ... وأدار حديثها وحديث فضلها وسار بفخرها وعزها المثل السائر حتى عز وجود مثلها وشاكلت مهابط وحى الله المحجوجة بأهل شرفها وشرف أهلها فأسست على تقوى من الله ورضوان ..... (١) »

وهذه المدارس كانت تخضع لإدارة حازمة رشيدة حيث كانوا يكلون أمر الاشراف عليها وإدارتها لشخص يطلقون عليه « القيم » وهو يشبه الناظر فى عصرنا هذا وكان لابد أن يكون هذا القيم أو الناظر عالما فقيها معروفا مشهورا بين الناس بعلمه وفقهه وتقواه يعاونه فى ذلك

---

(١) الادفوى - الترجمة رقم ٧١ .

المدرسون والمعيدون الذين كانوا يجيبون على أسئلة الطلبة ويوضحون لهم ما كان يغمض عليهم فهمه من دروس ، وكانت تلحق بكل مدرسة مصلّى أو زاوية لإقامه الشعائر الدينية يتولى أمر الامامة فيها الطلبة المعروفون بالورع والتقوى ، كما يشرف على اقامة الأذان أيضا من هو مدرك منهم لمعلومات الميقات (١) .

وقد حظيت هذه المدارس والجوامع والمساجد برعاية الأمراء والسلاطين وأرباب الجاه والثراء ، فأوقفوا للأوقاف والاحباس للانفاق عليها وجعلوا للقائمين بالتدريس فى هذه الأماكن من علماء وفقهاء جامكية وهى ما تشبه الراهب كما وهبوا الدارسين أيضا منحا وعطايا من ملابس وماكولات تشجيعا لهم على الاستمرار فى الدرس وتحصيل العلوم (٢) .

### خزائن الكتب والمكتبات :

ولقد كانت أيضا كل مدرسة من هذه المدارس السابقة الذكر تلحق بها خزائن الكتب أو المكتبات كى نمد الطلبة والدارسين بالكتب والمراجع التى يصعب الحصول عليها حتى يتسنى لهم زيادة البحث والاطلاع . فخزانة المدرسة النجيبية كانت بها جملة كتب فى علوم شتى منها : « عيون الأدلة لابن القصار المالكي المتوفى ٣٩٧ هـ - ١٠٠٦ م وهو

(١) الادلوى الطالع السعيد - الترجمة رقم ٥٤٨

(٢) الادلوى الطالع السعيد - الترجمة تراجم متفرقة

في نحو من ثلاثين مجلدا « وفي خزانة المدرسة السابقة كذلك « السنن الكبير للبيهقي المتوفى ٣٦١ هـ - ٩٧٢ م » وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي المتوفى ٤٦٣ هـ - ١٠٧٠ م وهو في أربعة عشر مجلدا « والمعجم الكبير في الحديث للطبراني المتوفى ٣٩١ هـ - ١٠٠٠ م » والبسيط في التفسير للإمام الواحدي المتوفى ٤٦٨ هـ - ١٠٧٥ م (١) .  
وغالبا ما كانت هذه الكتب ترد الى خزائن هذه المدارس عن طريق الاهداء أو الوقف ، بالإضافة الى أن بعض العلماء الذين كانوا يملكون في منازلهم مكتبات خاصة يوصون قبل وفاتهم باهداءها الى المدارس أو الجوامع تخليدا لذكراهم وكى يستفيد الطلبة والدارسون منهم (٢) .

وكان طلبة قوص يحرسون كل الحرص على التردد على خزائن الكتب هذه ويقضون الساعات الطوال في البحث والاطلاع وكان من عادتهم أثناء اطلاعهم أن يتركوا كثيرا من الشروح والتعليقات على هوامش هذه المؤلفات وقد أشار الأدفوي في حديثه عن ابن دقيق العيد أنه كان يرحمه الله كثيرا ما يترك علامات على هوامش الكتب التي كان يطالع فيها (٣) وكان يتولى الاشراف على هذه الخزائن

(١) الادفوي الطالع السعيد - الترجمة رقم ٤٦٣

(٢) الادفوي الطالع السعيد - الترجمة رقم ٤٦٣

(٣) الادفوي الطالع السعيد - الترجمة ٤٦٣

والمكتبات خازن الكتب وهو الأمين الذى يعاونه الطلبة فى  
سبيل الحصول على ما يطلبونه من هذه الكتب .

**العلوم التى كانت تدرس فى هذه المدارس وأساتذتها :**

وأما عن العلوم التى كانت تدرس فى هذه المدارس  
والجوامع فهى : « علوم الفقه » على مذهب الامامين الشافعى  
ومالك والتفسير والحديث ، وعلم القراءات ، وعلم الفرائض  
( الموارث والتركات ) والنحو والتاريخ والأدب والجبر  
والمقابلة والهندسة وعلوم الميقات (١) .

وقد كان لكل علم من هذه العلوم أساتذته المتخصصون  
الذين يفوقون الحصر ففى علوم الفقه نرى الفقيه الحجة  
مجد الدين القشيرى الذى يعتبر بحق موسوعة جامعة فى  
العلوم الفقهية وبصفة خاصة فى فقه الامامين الشافعى  
ومالك وقد تولى تدريسها فى مدرسة النجيبية فى أول  
نشأتها وظل كذلك حتى وفاته ، وقد تلقى على يديه أغلب  
أبناء الصعيد فلا تكاد تخلو ترجمة من تراجم الطالع  
السعيد من ذكر اسمه والاشارة اليه ثم خلفه ابنه العالم  
الفقيه تقى الدين ابن دقيق العيد قاضى قضاة المسلمين فى  
العصر المملوكى الذى استفاد على يديه الكثيرون من أبناء  
الديار المصرية بصفة عامة . وفى علوم التفسير نرى الامام

---

(١) وهى علوم الهيئة أو الفلك التى كانت تلعب دورا هاما فى  
تحديد مواقيت الصلاة ورصد أهلة الأشهر القمرية .

العالم الحسن بن الزبير السبتي القوصي وفي الحديث ابن بنت الجمزي . والسيراجي ، والفخر الفارسي وأبو الحسن البنا ورقية بنت زهب القشيري وفي علم القراءات ناشئ أبو البقاء القوصي الضرير وفي النحو شيت القفطي وفي التاريخ والأدب النميري القوصي ومحمد بن عيسى النصيبيني القوصي وفي الجبر والمقابلة ابن منيع النميري وفي علوم الميقات عثمان بن الحسن المنعوت بالفخر القوصي (١) .

بالإضافة إلى أن هذه المدارس قد عرفت نظمًا الأساتذة الزائرين الذين كانوا يمرون بقوص في مواسم الحج أو في سياحاتهم المختلفة بين المشرق والمغرب من هؤلاء مخبي الدين بن عربي وعمر بن الفارض وأبو الحسن الشاذلي وأبي العباس المرسى وغيرهم كثيرون - فيحدثنا عبد الغفار ابن نوح الأقصري في كتابه الوحيد أن أبا العباس المرسى مكث ثلاثين يوما في المدرسة الغربية بساحل قوص وهو في طريقه إلى الحج يدرس علوم الحقيقة ، وقد أوضح للطلبة كثيرا من المسائل التي غمض عليهم فهمها (٢) .

وقد اعتنى هؤلاء العلماء والفقهاء بتدريس كتب معينة في هذه العلوم يلزمون الطلبة بأجادة حفظها وفهمها ، فمن هذه الكتب في علوم الفقه « فقه الامام الشافعي » التنبيه والمهذب وهما في فروع الشافعية للامام أبي أسحق الشيرازي

(١) راجع هؤلاء العلماء في الطالع السعيد في تراجم متفرقة .

(٢) عبد الغفار بن نوح الوحيد . ج ١ ورقة ١٨٨

المتوفى ٤٧٦ هـ - ١٠٨٣ م - والتعجيز في مختصر الوجيز  
 لابن موسى الموصلي الشافعي المتوفى ٦٧١ هـ - ١٢٧٢ م -  
 وفي فقه الامام مالك موطأ مالك وفي علوم الحديث صحيح  
 البخاري وصحيح مسلم والثقفيات وهي طائفة من اجزاء  
 الحديث للحافظ أبي عبد الله الأصفهاني المتوفى ٤٨٩ هـ -  
 ١٢٩٠ م وفي التفسير البسيط للامام النيسابوري  
 المتوفى في ٤٦٨ هـ - ١٠٧٥ م وفي النحو كان الطلبة  
 يقرأون مؤلفات سيبويه ويحفظون مقدمة ابن الحاجب  
 للنحو (١) .

ولم تكن هناك مختصات في علم معين يفرض على  
 الطلبة بل من حق الطالب أن يأخذ بنصيبه وافر في كل  
 علم يرى في نفسه الكفاءة والمقدرة على استيعابه واجادة  
 اخذه . وقد كان التقليد المتبع في هذه المدارس بعسد  
 فراغ العلماء والفقهاء من تدريسهم لهذه الكتب أن يقوموا  
 بتوزيع بعض من الماكولات والحلوى على طلبتهم اجتفالا  
 بانتهاء الكتاب الذي تعين شرحه وتدريسه (٢) . كما أنهم  
 كانوا يمنحون الطلبة المتفوقين ما كانوا يسمونه في العصر  
 الاسلامي ( بالاجازة ) وهي شهادة تقرر صلاحية الطالب  
 للدرس والفتيا . ولم يكن أغلب طلبة قوص يقتنعون  
 بالدراسة في هذه المدارس بل كانوا يشتاقون الى مزيد من

(١) الادلوى - الطالع السعيد - في تراجم متفرقة

(٢) الادلوى - الطالع السعيد - الترجمة ٥٥٥

العلم والمعرفة لذلك نراهم بعد فراغهم من الدراسة في هذه المدارس يرتحلون الى القاهرة أو دمشق أو حلب أو الاسكندرية أو يجاورون بمكة ومنهم من كان يرجع الى بلده يطمح في أن يتقلد مناصب رئيسية في الدواوين أو يتولى شئون التدريس ومنهم من كان يقيم في المكان الذي رحل اليه حتى وفاته

وقد تخرج في هذه المدارس العديد من العلماء والفقهاء والمؤرخين والأدباء الذين ساهموا مساهمة فعالة في احياء الثقافة الاسلامية حتى أن أسماؤهم ما زال يرن صداها حتى يومنا هذا من هؤلاء : ابن دقيق العيد العالم الفقيه وقاضى قضاة المسلمين فى العصر المملوكى وأبى جعفر الادفوى وشهاب الدين النويرى القوصى وابن نوح الأقصرى وغيرهم كثيرون .

### الأدب وفنونه :

لقد كان للأدب من نظم ونثر فى قوص خلال هذه الفترة سوق رائحة ومكانة مرموقة حيث ظهر فى مجتمع هذه المدينة كثير من الشعراء والأدباء الذين جادت قرائحهم بالجيد من منظوم الكلام ومنثوره وقد ساعد على ذلك عدة أمور منها :

أن مدينة قوص بما اشتهرت به من حسن وبهاء وتقدم وازدهار فى العصر الاسلامى الذى يؤرخ له كانت خافزا

للشعراء والأدباء أن يتغنوا بها وأن يصفوا حسناتها هذا  
 وتقلعها نظماً أو نثراً ، كما أن تركز الطبقة الحاكمة من امراء  
 وولاة وحكام وقضاة بهذه المدينة بالاضافة الى أبواب الجاه  
 والثراء جعلت الشعراء بصفة خاصة يدبجون العديد من  
 القصائد فى مديح هؤلاء القوم أملا فى الوصول الى مناصب  
 رفيعة فى الدواوين أو بغية تكسب وعطاء ، ولعل فى طريق  
 قوص السهل الأمن الى الأراضى المقدسة ما جعل هذه المدينة  
 تروج رواجاً منقطع النظير فى مواسم الحج والعمرة فى  
 الذهاب وفى العودة ، فكان ذلك دون شك كسباً عظيماً  
 لازدهار الأدب وبصفة خاصة النظم ، فقد استلهم الشعراء  
 من خلال هذه المواسم القصائد فى مدح النبى عليه الصلاة  
 والسلام وعلى بيته الأطهار ووصف الأماكن المقدسة وفى  
 تهنئة الحجاج بسلامة عودتهم كما أن الغيرة على العقيدة  
 الاسلامية والشريعة المحمدية من أن تمس الأباطيل  
 والترهات أصحاب العقائد والمحن الأخرى كالشيعة الذين  
 كانت تفص بهم أغلب مدن الصعيد فى ذلك الوقت ، دفع ذلك  
 الكثير من الشعراء الى تمجيد العقيدة الاسلامية وضحد  
 خصومها ، نضيف الى كل ذلك أن العشق والهيام والبعد  
 والفراق والألم والبكاء ، هذه المعاني كثيراً ما كانت تعتمل  
 فى نفوس أبناء إقليم قوص وتدفعهم الى التعبير عن  
 أحاسيسهم هذه ومشاعرهم تعبيراً صادقاً أكيدا .

كل هذه العوامل المجتمعة خلقت فى مجتمع قوص  
 نهضة أدبية ذاغ صيتها فى مختلف العواصم والبلدان ،



وقد تعددت أغراض النظم فظهرت قصائد المديح والغزل  
والرثاء والهجاء والموال الذي يحكى لونا من ألوان الفن  
الشعبي « القولكلور » يردده القوالون والمنشدون على أنغام  
الدفوف والشمايات ، كما أنه في مجال النثر نلمس  
الرسائل الديوانية والاخوانية والخطب المنبرية والمحفلية  
والمقامات .

وقد عاش في إقليم قوص كثير من الشعراء والأدباء  
الذين تحدث عنهم أبو جعفر الادفوى كمحمد بن محمد بن  
عيسى النصيبيني القوصي (١) ومحمد بن فضل الله كاتب  
المرج القوصي (٢) وتاج الدين أبي الفتح محمد بن الدشناوى  
القوصي (٣) وأحمد بن كامل القوصي الملقب بالصلاح (٤) ،  
ولعل أبرز هؤلاء جميعا البهاء زهير الشاعر المعروف الذي  
عاش شطرا طويلا في مسقط رأسه في هذه المدينة  
ومعه صديقه المعروف بجمال الدين بن مطروح الذي تزج  
من مدينة أسيوط وأقام في قوص فترة طويلة .

### الكتابة والتأليف :

وفي مجال التأليف نجد الكثير من المؤلفات في

---

(١) الادفوى - الطالع السعيد - الترجمة رقم ٤٧١

(٢) المصدر السابق الترجمة رقم ٤٧٠

(٣) المرجع السابق - الترجمة رقم ٣٨٩

(٤) المصدر السابق - الترجمة رقم ٥٩

علوم شتى كالفقه والحديث والتفسير والأدب ، فقد شرح كثير من أبناء قوص عددا من الكتاب فى هذه العلوم وذلك ما هو ملموس عند العالم الفقيه ابن دقيق العيد الذى ترك كثيرا من الشروح فى علوم الفقه (١) - كما أن شهاب الدين النويرى القوصى الذى تخرج فى مدارس قوص قد ترك موسوعة فى التاريخ والأدب تقع فى ٢٠ مجلدا بعنوان نهاية الأرب فى فنون الأدب ما زالت تعد مرجعا أساسيا لجميع الباحثين والدارسين حتى يومنا هذا وقد خلف لنا أيضا أحمد بن حامد شهاب الدين القوصى معجما يقع فى أربعة مجلدات سماه تاج المعاجم (٢) أشار إليه حاجى خليفة باسم معجم ( الشيوخ ) (٣) ذكر فيه من لقيه من المحدثين ، وعبد الغفار بن نوح الأقصرى الذى ترك أيضا كتابا فى جزئين بعنوان « الوحيد فى سلوك أهل التوحيد » يعتبر مرجعا هاما للوقوف على وجه مجتمع الصعيدي فى عصر الماليك بالإضافة الى أنه قد تحدث عن كثير من رجال التصوف والفقهاء الذين عاصروهم أو أخذ عنهم ، وأبو جعفر الادفوى وكتابه الطالع السبعيد الجامع لأدباء الصعيد وقد حوى ٥٩٤ خمسمائة وأربعة وتسعين ترجمة لعديد من العلماء والفقهاء

(١) المصدر السابق - الترجمة رقم ٤٦٣

(٢) المرجع السابق - الترجمة رقم ٨٧

(٣) حاجى خليفة - كشف الظنون ص ١٧٣٥

والمتصوفة الذين عاشبوا بأرض الصعيد في عصرى الأيوبيين والمماليك ، ومحمد بن عبد العزيز بن أبى القاسم الادريسى وكتابه المفيد فيمن دخل الصعيد ، (١) ذكره حاجى خليفة باسم « المفيد فى أخبار الصعيد » مفقود ، وغير ذلك كثير من المؤلفات المبعثرة فى مختلف ترجمات « الطالع السعيد » للدفوى .

### حركة النسخ :

لقد كان أغلب أبناء قوص أصحاب هم عالية ونشاط ملحوظ فى نسخ أمهات كتب التراث ساعدهم على ذلك شغفهم بالعلم وحسن خطهم وجودته وبهائه بالاضافة الى توافر أدوات الكتابة من أحبار وأقلام وأوراق ، فقد ورد أن النويرى كتب صحيح البخارى عدة مرات (٢) وأنه كان يتكسب من خلال هذا العمل كما أن الشيخ محمد ابراهيم أبو الطيب (٣) السبتي القوصى كتب بخط يده كتاب سيبويه ، بالاضافة الى أن الكثير من العلماء والفقهاء من أبناء قوص كانوا ينسخون القرآن لكريم وكتب الحديث ويضعونها فى ديارهم تبركا ويورثونها لأبنائهم من بعدهم ، وكان الأبناء يعتبرون ذلك اوقفا مقدسا يعتزون به ويصونونه من التلف أو الضياع .

(١) الطالع السعيد ترجمة رقم ٤٣٩

(٢) الطالع السعيد ترجمة رقم ٥١

(٣) الطالع السعيد ترجمة رقم ٣٧٦

## الحياة الروحية :

لم تكن الحياة الروحية فى مدينة قوص فى العهد الاسلامى اذا قيسـت بالنهضة العلمية والثقافية التى سبق لنا الحديث عنها شيئاً ذا قيمة يلفت نظر الباحث أو الدارس بالاهتمام والتقدير وذلك لعدة أسباب نراها فى اعتقادنا وهى أن مدينة قوص بما كانت عليه من تقدم وازدهار فى جانب الحياة الاقتصادية نتيجة لأسبابها العديدة وكثرة الداخل فيها والخارج منها من تجار وأرباب معاشات ، ترتب عليه مزيداً من الصخب والضجيج والضوضاء لم نلاحظه فى أية مدينة من مدن الصعيد فى هذه الفترة ورجال التصوف وأرباب الأحوال والمقامات يميلون دائماً لطبيعتهم الى حياة الهدوء والسكينة والاطمئنان لذلك لم يطيبوا نفساً بالاقامة فى قوص ودليلنا على ذلك أن السيد القنائى رضوان الله عليه حينما هاجر من مكة الى الديار المصرية فى أوائل النصف الثانى من القرن السادس الهجرى نزل بقوص ولم يمكث بها أكثر من بضع ليال وذلك لصخبها وعدم هدوئها ورحل منها الى مدينة قنا التى كانت فى ذلك الوقت تتمتع بالهدوء والسكينة ، وقد كان لاقامة السيد القنائى فى هذه المدينة أعنى قنا أثر عظيم فى نهضة الحياة الروحية بها فاذا كانت قوص فى العصر الاسلامى تعتبر مركزاً من مراكز الاشعاع الثقافى والعلمى فان مدينة قنا فى ذلك الوقت كانت أيضاً مركزاً هاماً من مراكز الاشعاع

الروحي في الديار المصرية بوجه عام في القرن السادس والسابع من الهجرة وذلك نتيجة لاقامة السيد القنائي بها الذي كان يعتبر بحق صاحب أكبر مدرسة في التصوف الاسلامي شاهدها الصعيد في القرن السادس الهجري ، وكان ذلك مدعاة الى أن تهبوا الى هذه المدينة قلوب الكثرين من رجال التصوف والمريدين فنحن نرى أن الشيخ أبا الحسن الصباغ القرصي الذي ولد وتربى في قوص رحل منها الى قنا وأقام بها اقامة دائمة ليكون بذلك قريبا من أستاذه وشيخه السيد القنائي، وظل كذلك الى أن توفي ودفن بها . وكان السيد أبو الحجاج الأقصري أيضا كثير السفر الى هذه المدينة لحضور حلقات درس شيخه السيد القنائي بالاضافة الى عديد من شيوخ التصوف وأعيانه في صعيد مصر في ذلك الوقت كالشيخ مفرج الدمايني ومجد الدين القشيري وآلاف من المريدين الذين يصعب حصرهم ، وقد صدق في ذلك قول الادقوي أن هذه المدينة عش الصالحين وماوى العارفين ، خرج منها أرباب مقامات وأحوال ومكاشفات ، واستفاض أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم بها وقال : « انها تقدرست بابنى عبد الرحيم » (١) .

ولبس معنى ذلك أن مدينة قوص لم يكن لها نصيب في جانب الحياة الروحية على الإطلاق بل على العكس كانت

هناك هذه المدينة تتألق روحيا في موسم الحج والعمرة وكذا في شهر رمضان وخصوصا في العشر الأخيرة منه ، ففي موسم الحج والعمرة كانت هذه المدينة تحظى باستضافة كثير من كبار رجال التصوف في جهادهم الى الأراضي المقدسة وحين عودتهم وقد سبق لنا الإشارة الى ذلك وقد كان هؤلاء الصفوة الأخيار يعقدون حلقات الوعظ والدرس في الزوايا والربط والمدارس التي كانت منتشرة في هذه المدينة ، وكان يشيع في جو هذه الحلقات اسمى معانى الحياة الروحية على الاطلاق حيث كان الطلبة والمريدون وأبناء قوص عموما يلتفون حولهم في نهم بالغ للاستفادة والتبرك ، كما انه في ليالى شهر رمضان المعظم كانت هذه المدينة تشهد أيضا اجتماع الفقراء المتجردين أى الصوفية الذين انقطعوا الى الله سبحانه وتعالى في الربط والزوايا مثل رباط الشيخ أبى الحسن الصباغ القوصى وأبى العباس الملمم وعبد الغفار بن نوح الأقصرى وزاوية ابن الأفرم (١) يؤدون أذكارهم ويعقدون حلقات السماع (٢) التي كانت تمتد حتى مطلع المجر .

---

(١) ابن بطوطة - الرحلة ج ١ ص ٢٩

(٢) السماع : الذكر المصحوب بالانشاد على الآلات الموسيقية

كالدف والطنبور والعود .

## الشيعية والمتشيعون في قوص :

من الواضح تاريخيا أن مدينة قوص بعد سقوط الدولة الفاطمية سنة ٥٦٨ هـ - ١١٧٢ م وقيام الدولة الأيوبية ٥٦٩ هـ - ١١٧٣ م على يد الناصر صلاح الدين الأيوبي الذي عمل جاهدا هو ومن جاء بعده من سلاطين الأيوبيين والمماليك على تقويض دعائم المذهب الشيعي وأحياء تعاليم المذهب السني (١) - نقول ان هذه المدينة وتوابعها في صعيد مصر كانت على أثر ذلك تكتظ بالعديد من الشيعة الكثرين لاذوا بأغلب هذه المدن على أثر كسر شوكتهم ، وحينما أحسوا بنصيب من القوة راودتهم فكرة استرجاع ماضيهم السليب فاتخذوا من مدينة أسوان في جنوب الديار المصرية مركزا لدعوتهم في احياء تعاليم مذهب الشيعة وتزعم أحد قادة الفاطميين ، الذي كان يدعم كثر الدولة هذه الفكرة وأخذ يروج لها بين فلول الشيعة في مختلف مدن الصعيد وجاهدوا في سبيل انجاح هذه الفكرة وأعدوا جيشا واتجهوا به الى مدينة قوص للاستيلاء عليها واتخاذها بحكم موقعها الجغرافي مركز اشعاع لاهياء تعاليم المذهب الشيعي ، واسترجاع مجد الدولة الفاطمية وكان ذلك في عهد صلاح الدين الأيوبي الذي تنبه لهذا الخطر فنشط نشاطا ملحوظا لاضمار هذه الحركة فأرسل

---

(١) ذكرور محمد كامل حسين دراسات في الشعر في عصر

أخاه الملك العادل سيف الله في سنة ١١٧٤ ميلادية على رأس جيش قوى استطاع أن يقضى به على كنز الدولة هذا وأعوانه قضاء مبرما (١) وفر من بقي من أتباعه الى بعض مدن الصعيد كاسنا وأسفون وأرمنت ، فلم يهدأ صلاح الدين الأيوبي بالا بل عمل جاهدا على تطهير أرض الصعيد وبصفة خاصة مدينة قوص من رواسب المذهب الشيعي ، فأنشأ المدارس وشجع العلماء والفقهاء ورجال الصوفية في القضاء على مذهب الشيعة ونشر تعاليم مذهب السنة كما سبق أن أشرنا . ولقد كان الشيعي أمام سلطان العلماء والفقهاء يتخلى عن عقيدته ويعتنق مذهب أهل السنة فقد ورد أن الامام جلال الدين الدشناوى قال يوما للشاعر الأديب محمد بن محمد بن النصيبيني القوصي وكان متشيعا « أنت رجل فاضل » ومن أهل الحديث « ومع ذلك أشاهد عليك شيئا ما هو بعيد أن يكون في عقيدتك ، فما كان من النصيبيني القوصي هذا على أثر سماعه لهذا القول إلا أن تخلى عن مذهب الشيعة الذي كان يعتنقه ويتعصب له واعتنق مذهب أهل السنة (٢) .

---

(١) الدكتور سعيد عبد اللطاح عاشور - الحركة الصليبية ج ٢ ص ٢٣٢  
 (٢) الادفوى - الطالع السعيد ص ٦٢٧



## الفصل السادس

الآثار الإسلامية بمدينة قوس



## الآثار الإسلامية بمدينة قوص

تعتبر مدينة قوص بحكم كونها عاصمة الصعيد في العصر الإسلامي ومقر الولادة والأداة الحاكمة أغنى مدينة في إقليم قوص على الإطلاق بالآثار الإسلامية فقد اعتنى الأمراء والحكام والولاة بتشبيد العديد من الجوامع والمدارس كما اعتنوا بإقامة الربط والزوايا والحمامات وأحواض السبيل ، بالإضافة الى أنه كانت بظاهر قوص جبانة مترامية الأطراف تضم وفاة العديد من العلماء والأولياء الصالحين . وقد اندثرت أغلب هذه الأماكن ولم يبق لها من أثر سوى الجامع العمري والجبانة الإسلامية .

فالجامع العمري بقوص يعتبر من أقدم المساجد الأثرية بالصعيد ، فقد أنشئ في عهد عمرو بن العاص في أوائل الفتح ولذلك سمي بالمسجد العمري نسبة اليه ، ثم عرف بعد ذلك بالجامع العتيق ، وفي عصر المماليك أطلق عليه جامع قوص ، وفي عهد الدولة الفاطمية تدعى ببيان هذا الجامع فجدده أمير المؤمنين الفائق بنصر الله وأقام فيه منبرا عليه لوحة من الخشب تشتمل على العبارة الآتية مكتوبة بخط كوفي مشجر وذى حروف صغيرة :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، ادع الى سبيل »  
 « ربك بالحكمة والموعظة الحسنة أمر بعمل هذا »  
 « المنبر المبارك الشريف مولانا وسيدنا الامام »  
 « الفائز بنصر الله أمير المؤمنين صلوات الله »  
 « وسلامه عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين »  
 « المنتظرين على يد فتاه وخليله السيد الأجل »  
 « الملك الصالح ناصر الأئمة وكاشف الغمة »  
 « أمير الجيوش سيف الاسلام غياث الانام كافل »  
 « قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين عضد »  
 « الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين »  
 « وأدام قدرته وأعلى كلمته فى سنة ست »  
 « وخمسين وخمسائة » .

ويشبه هذا المنبر فى شكله منبر الخليل والمنبر الموجود فى جامع دير سانت كاترين بطور سيناء على أن جنبه يكسوهما زخارف من حشوات تكون أشكالا هندسية من مستطيلات ونجوم مسدسات ممدودة مغطاة كلها بفروع نباتية ومراوح نخيلية وعناقيد عنب ، وفى القسم الاسلامى من متاحف برلين حشوة من هذا الطراز حتى ليظن أنها مأخوذة من هذا المنبر (١) ، ويعتبر هذا المنبر من أقدم المنابر فى جمهورية مصر العربية فقد أنشئ عام ٥٥٠ هـ - وقد شاهد الجغرافى العربى الشريف

---

(١) دكتور زكى محمد حسن - كنوز الفاطميين فى مصر - ص ٢٢٢

الادريسي هذا المنبر حينما زار قوص ، وأشار الى ذلك في حديثه عن هذه المدينة (١) .

وبهذا الجامع أيضا محراب يرجع الى العصر المملوكي قد زخرفت واجهته بزخارف جصية قوامها عناصر نباتية وهندسية بديعة التكوين وتشبه زخارف هذا المحراب زاوية زين الدين يوسف وكذا المحراب المملوكي في جامع عمرو بن العاص ويحيط بالمحراب كتابة بالخط الثلث المملوكي نصها :

« أما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم  
« الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش  
« الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين »  
وحول قبة المحراب قوله تعالى :

« قد نرى تقلب وجهك في السماء »

وفي النهاية البحرية للبائكة الرابعة والخامسة من ايوان القبلة توجد مقصورة من الخشب الخرط على جانب عظيم من الأهمية في الجانب الشرقي من المقصورة باق على صورته الأولى ويتكون من حشوات بها زخارف محفورة حفرًا عميقًا وكذا الجانب الغربي وكذا باب المقصورة مكون من حشوات سداسية الشكل يحيط بها من أعلى وأسفل

---

(١) الشريف الادريسي - نزعة المشتاق - ص ٤٩

أشرطة من خشب الخرط الذى انتشر استعماله فى العصر المملوكى .

وبداخل هذه المقصورة يوجد كرسى مصحف مغطى بقماش خلق وهو من الخشب المصنوع بطريق الحشوات المجمة والمطعم بالعاج والصدف ويحيط بالكرسى شريط من الكتابة بالخط النسخ المملوكى وتتكون من آية الكرسى والنص الآتى :

« أمر بإنشاء هذا المصحف المبارك المقر الكريم »  
« العالى المولى الأميرى الأجل عز الدين خليل »  
« الملك الناصرى أعز الله أنصاره بمحمد وآله »

ومن المرجح أن يكون منشىء الكرسى والمقصورة هو منشىء المحراب ، أى انها جميعا ترجع الى أوائل القرن الثامن الهجرى .

ويحتوى المسجد أيضا على لوح تذكارى آخر مثبت على باب الميضاة قد نقش فى وسطه شكل مشكاة ثم كتب تحته اسم المقرئ الشيخ الصالح جمال الدين محمد الناجى وتاريخ وفاته يوم الجمعة ١٩ رمضان سنة ٧١٧هـ .

وقد أدخلت على هذا الجامع كثير من التغييرات والتشييدات التى أفقدته فى الواقع الكثير من معالمه الأصلية ، فمن أهم هذه الإصلاحات والتشييدات ، تلك العمارة التى قام بها الأمير محمد كاشف فى سنة ١٢٣٣هـ .

وقد أثبت الأمير محمد كاشف عمارته للمسجد في ثلاثة مواضع ، أحدهما في لوح صغير مثبت في صحن المسجد والثاني في لوح رخام مؤرخ سنة ١٢٣٣ هـ مثبت على باب الميضأة السابق ذكره ، أما اللوح الثالث فقد ثبت على مدخل المسجد وكتب عليه النص التالي :

- « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على »
- « سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، »
- « الحمد لله الذى وفق من عباده ما أراد بتجديد »
- « ما أعد لطهارة العبادة للصلاة المفروضة »
- « وتوابعها على لسان الحبيب المخلص بها كل »
- « مطيع وعتيد ، والصلاة والسلام على من »
- « أرسل لكافة المخلوقات على توالى الأيام »
- « والساعات واللحظات وعلى آله وصحبه »
- « الطاهرين الذين هم شيدوا الشريعة والدين »
- « صلاة وسلاما دائمين الى يوم الدين وبعد فقد »
- « جدد هذا المحل وما اشتمل عليه الجامع »
- « العتيق بمدينة قوص حضرة الجناح المكرم »
- « محمد كاشف قهوجى كاشف مدينة قوص »
- « راجيا الثواب الجزيل من المولى الجليل بقوله »
- « وهو أصدق القائلين ( انما يعمر مساجد الله »

« من آمن بالله واليوم الآخر ( وعمارة المحل »

« من ماله خاصة فى سلخ شهر ذى الحجة ختام »

« سنة ١٢٣٣ للهجرة النبوية » (١) .

ويضيف على باشا مبارك فى حديثه عن قوص :  
انه فى شهر رمضان سنة ٦٧٢ هجرية أتى الى الملك النظار  
بيبرس بفلوس وجدت مدفونة فى قوص على أحد وجهها  
صورة ملك واقف وفى يده اليمنى ميزان وفى اليسرى  
سيف وعلى الوجه الآخر رأس فيه اذن كبيرة وعين مفتوحة  
وبدائرة الفلس كتابة قرأها راهب يونانى فكان تاريخه  
الى وقت قراءته ألفين وثلثمائة سنة وفيه أنا ( غياث الملك  
ميزان العدل والكرم فى يمينى لمن أطاع والسيف فى  
يسارى لمن عصى وفى الوجه الآخر أنا غياث الملك أذن  
مفتوحة لسماع المظلوم وعينى مفتوحة أنظر بها مصالح  
ملكى ) (٢) .

ونحب أن نقول فى ختام حديثنا عن الآثار الاسلامية

---

(١) الدكتوروة سعاد ماهر - محافظات الجمهورية العربية المتحدة

ص ٣٣ - ٣٦

(٢) راجع أيضا لجنة حفظ الآثار العربية القديمة - المجموعة

ال ١٧ ص ١٠٨ ( ١٠٩ )



فى مدينة قوص أن هذه المدينة فى اعتقادنا تزخر بكثير  
من آثارنا الإسلامية التى يتعين على رجال الآثار الإسلامية  
أن يتجهوا الى التنقيب عنها فقد تفيد كثيرا فى تاريخ  
حضارتنا الإسلامية •



## مصادر البحث

### أولاً - المخطوطات :-

- ١ - عبد الغفار بن نوح الأقصرى ، الوحيد فى سلوك أهل التوحيد فى جزءين مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٦ تصوف .

### ثانياً - المصادر والمطبوعات :

- ٢ - ابن بطوطة ، الرحلة - المطبعة الأزهرية - القاهرة ١٩٣٧ .
- ٣ - ابن تفر بردى ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة - دار الكتب المصرية ١٩٢٩ .
- ٤ - ابن جبير - الرحلة - تحقيق د . حسين نصار ، القاهرة ١٩٥٢ .
- ٥ - ابن الجيعان - التحفة السنية لأسماء البلاد المصرية - يولاق ، ١٨٩٨ .
- ٦ - حاجى خليفة - كشف الظنون بأسماء الكتب والفنون - ١٩٤٧ .

- ٧ - ابن حجر العسقلانى - الدرر الكامنة فى أعيان  
المئة الثامنة - نشر وتحقيق سيد جاد الحق القاهرة  
١٩٦٦ .
- ٨ - ابن خلدون - المقدمة - بيروت ١٨٧٩ .
- ٩ - الادفوى - الطالع السعيد - الجامع لأسماء نجباء  
الصعيد - نشر سعد محمد حسن القاهرة ١٩٦٦ .
- ١٠ - الادريسي - نزهة المشتاق فى اختراق الآثار -  
ليدن ١٨٥٢ .
- ١١ - ابن دقماق - الانتصار بواسطة عهد الأمصار ج ٥  
- القاهرة ١٩٠٩ .
- ١٢ - السمعانى - الانساب - ليدين مطبعة بريل ١٩١٢ .
- ١٣ - شهاب الدين القلقشندى - صبح الأعشى فى صناعة  
الانشاء - القاهرة - دار الكتب المصرية ١٩١٧ .
- ١٤ - أبو صالح الأرمنى - تاريخ أبى صالح الأرمنى  
المعروف بكنايس وأديرة مصر اكسفورد ١٨٩٥ .
- ١٥ - صفى الدين بن عبد الحق - مراصد الاطلاع - برلين  
١٨٩٥ .
- ١٦ - عبد الرحمن بن نصر الشيزرى - نهاية الرتبة فى  
طلب الحسبة نشر وتحقيق دكتور الباز العرينى -  
القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٦ .

- ١٧ - ابن العماد الحنبلى - شذرات الذهب فى أخبار من ذهب - القاهرة ١٣٥٠ هـ .
- ١٨ - أبو الفدا - تقويم البلدان - باريس - ١٨٥٠ .
- ١٩ - ابن القفرا - تاريخ مصر - بيروت - المطبعة الأمريكية ١٩٣٦ - ١٩٣٨ .
- ٢٠ - ابن ممانى - قوانين الدواوين - تحقيق جورج سوريال عطية - القاهرة ١٩٤٣ .
- ٢١ - المقدسى - أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم - لندن ١٩٠٦ .
- ٢٢ - المقرئى - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار الموسوم بالخطط فى جزئين - بولاق - ١٢٧٠ هـ .
- ٢٣ - البيان والاعراب عما حل بأرض مصر من أعراب - نشر وتحقيق عبد المجيد عابدين - القاهرة - عالم الكتب ١٩٦١ .
- ٢٤ - السلوك لمعرفة دول الملوك - دار الكتب المصرية - حققه ووضع حواشيه د . محمد مصطفى زيادة ، ١٩٣٤ .
- ٢٥ - ناصر خسرو - سفر ناما ( بالفارسية ) ترجمة الدكتور يحيى الحشباب - القاهرة ١٩٤٥ .
- ٢٦ - الياضى - مرآة الجنان وعبرة اليقظان - طبعة حيدر آباد - ١٣٣٨ .

٢٧ - . ياقوت الرومي - معجم البلدان - القاهرة ١٩٠٦ -

### ثالثا - المراجع الحديثة :

٢٨ - . د. أحمد أحمد بدوي - الحياة العقلية في عصر  
الحروب الصليبية - القاهرة - مكتبة النهضة المصرية  
١٩٥١ -

٢٩ - . بتلر « مستشرق انجليزي » الفتح العربي لمصر -  
نقله الى العربية محمد فريد أبو حديد - القاهرة ،  
دار الكتب المصرية ١٩٣٣ -

٣٠ - . حسن ابراهيم حسن - تاريخ الاسلام السياسي  
في ثلاثة اجزاء - القاهرة ١٩٥٨ -

٣١ - . حسن ابراهيم حسن - الفاطميون في مصر -  
القاهرة - المطبعة الأميرية ١٩٣٢ -

٣٢ - . حسن أحمد محمود - الاسلام والثقافة العربية في  
افريقيا - القاهرة ١٩٦٣ -

٣٣ - . دائرة المعارف الاسلامية - الترجمة العربية  
باشراف لجنة من الأساتذة - القاهرة - زائباور -  
معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ  
الاسلامي - القاهرة ١٩٥١ -

٣٤ - . د . زكي مخمند حسن - كنوز الفياطين -  
القاهرة ١٩٣٥ -

- ٣٥ - دكتور/ سعاد ماهر - محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية - القاهرة ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون الإسلامية ١٩٦٦ .
- ٣٦ - د . سعيد عبد الفتاح عاشور - الحركة الصليبية - القاهرة الأنجلو ١٩٦٣ .
- ٣٧ - د . صبحي لبيب - التجارة الكارمية في مصر في العصور الوسطى - مقال منشور بالمجلة المصرية التاريخية . المجلد الرابع - العدد الثاني - مايو ١٩٥٢ .
- ٣٨ - د . عبد الرحمن زكي - الاسلام والمسلمون في شرق أفريقيا - القاهرة معهد الدراسات العربية ١٩٤٥ .
- ٣٩ - د . مصطفى مشرفة - نظم الحكم في مصر في عصر الفاطميين - القاهرة دار الفكر العربي ١٩٤٨ .
- ٤٠ - د . عمر رضا كحالة - معجم القبائل العربية - المطبعة الهاشمية دمشق ١٩٤٩ .
- ٤١ - د . علي إبراهيم حسن - مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي الى الفتح العثماني - القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٩ .
- ٤٢ - علي باشا مبارك - المخطط التوفيقية - بولاق - ١٣٠٦ .

- ٤٣ - محمد شملول الشريف - عسروبة مصر من قبائلها  
- القاهرة ١٩٦٥ .
- ٤٤ - محمد رمزي - القاموس الجغرافى - القاهرة -  
دار الكتب المصرية ١٩٥٤ .
- ٤٥ - محمد عبده الحجاجى - شخصيات صوفية فى  
صعيد مصر فى العصر الاسلامى - القاهرة  
١٩٧١ .
- ٤٦ - محمد كامل حسين - دراسات فى الشعر فى  
عصر الأيوبيين - القاهرة ١٩٥٧ .
- ٤٧ - لجنة حفظ الآثار العربية القديمة - القاهرة -  
بولاى ١٩٠٢ .



# فهرس

الاهداء . . . . . ٣

تمهيد . . . . . ٥

الفصل الأول . . . . . ١٣

- التقسيم الادارى لاقليم قوص فى العصر الاسلامى ١٥

- القبائل العربية التى سكنت هذا الاقليم منذ الفتح

العربى حتى أواخر حكم الأيوبيين . . . ٢٤

الفصل الثانى . . . . . ٣٣

قوص . . . . . ٣٣

- الموقع الجغرافى . . . . . ٣٥

- قوص من خلال كتابات المؤرخين والجغرافيين

والرحالة العرب فى العصر الاسلامى . . . ٤٠

الفصل الثالث . . . . . ٥٥

- بناء المجتمع القوصى فى العصر الاسلامى . . ٥٧

## ٧٣ . . . . . الفصل الرابع

٧٥ - الحياة بوجه عام في مجتمع قوص في العصر الاسلامى

٩١ - وسائل اللهو والتسلية فى مجتمع قوص . .

## ٩٧ . . . . . الفصل الخامس

٩٩ - الحركة العلمية فى قوص فى العصر الاسلامى .

١١٤ - الحياة الروحية . . . . .

١١٧ - الشيعة والمتشيعون فى قوص . . . . .

## ١١٩ . . . . . الفصل السادس

٢١ - الاثار الاسلامية بمدينة قوص . . . . .

٢٩ - مصادر البحث . . . . .

---

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

---

رقم الايداع بدار الكتب ٣٧٧٦ / ١٩٨٢

ISBN

١٧٧ - ١ - ٤٣ - ٦



## هذا الكتاب :

● قوص مدينة ضاربة في التاريخ ، تقع على النيل من  
البر الشرقي في الجنوب ، حازت على مكانة مميزة في  
عصورها التاريخية ، ولكنها في العصر الاسلامي  
اكتسبت تاريخا حافلا بالأحداث والمواقف الخالدة .  
فكانت مقصدا لعدد من الجنسيات المختلفة التي  
تفاعلت بمضى الزمن في سهولة ويسر مع أهلها  
الأصليين حتى أصبح مجتمعها نموذجا لطبقات  
المجتمع المختلفة .